إحياء فقه الدعوة

رؤى تخطيطية

همسٌ صريح .. وأذانٌ فصيح .. معاً
مُوجّه لداعية .. حضاري الأُفق
منهجي الأُسلوب والوسيلة

محمد أحمد الراشد



دار الخلدونية

إحياء فقه الدعوة

رؤى تخطيطية

محمد أحمد الراشد



دار الخلدونية للنشر والتوزيع

05، شارع محمد مسعودي القبة القديمة – الجزائر

هاتف: 021.68.86.48 فاكس: 021.68.86.49

الإيداع القانوني : 2006/3067

ردمك : 9961/52/130/7

مُقدمة

□□ هذه الوثيقة : مجموعة خلجات قلبية اضطربت في صدر داعية قديم الانتماء ، آمن بالأنماط المنهجية التخطيطية ، فطفق يتصدر عملية الترويج لها في الأوساط الدعوية، حتى إذا رأى بعض نوابغ تلامذته يجلسون على عروش التدريب الإبداعي والإداري ويبشرون بالفكر الاستراتيجي في مراكزهم التخصصية : استبدت به نشوة دفعته للإدلاء بهذه الرؤى التخطيطية ، إقراراً بفضلهم ، وعقد بيعة منه لهم ، وشهادة تبرأ من التكلّف وتُشيد بالنظام ، والابتكار ، والتجديد ، وسمت النقد ، وطرائق الحسنى ، ثم فيها بيانٌ أنّ النفوذ الخططي الحالي ما حصل إلا من خلال بذل كثير ، ومعاناة ، وتفهيم ، وجدل وحوارات خاض غمارها رهطٌ من الرّواد من أولي العزيمة والصبر ، حتى استوت القناعة ، وبشكل يوجب الشكر لله رب العالمين .

● والمنطق في ذلك أن مُجرد التربية الدعوية الأخلاقية لا تعني في المجال الدعوي شيئاً كبيراً ما لم تسندها تربية تخطيطية ، لأن أقصى ما يهبه لك الوعظ أن يعينك على إنتاج عناصر مؤمنة مستورة تغدو وتروح في دربها بأدب وعفاف ، ولكن النزعة الإبداعية في التحريض على تداول الفكر التخطيطي تنتج مؤمناً عفيفاً يطيل التأمل في قضايا المسلمين ، وكأنه هو المسؤول عن إيجاد مخرج للأمة من كل مصائبها ، كما كان صلاح الدين يسهر الليل ويستولي عليه الأرق جراء مواصلة التفكير ، وكما هو المشهور عن أبي حنيفة الذي كان يُصلي الفجر بوضوء العشاء ، والصوفي يظن أنه كان يصلي كل الليل ، ولأربعين سنة كما في رواية ، والحقيقة أنه كان يطيل التأمل في قضايا الفقه التي يثيرها مُع أبي يوسف وزفر وبقية أصحابه ، وكان من شأنه تعتيق المسائل في ذهنه وإرجاء الإفتاء مدة طويلة ، ليتيح لنفسه عمق التأمل والتأكد من سواء القياس والاستنباط ، وصاحبنا الداعية المعاصر يلزمه شيءٌ مثيل لذلك من طول التأمل في القضايا التخطيطية والفكر المنهجي وتقليب وجوه الاجتهاد السياسي والتنظيمي والتربوي والجهادي قبل أن ينطق ، وأن يبرأ من الارتجال والعفوية وسرعة الجزم برأي ، والسكينة الإيمانية تحوط حالتي صمته وكلامه بوقار وهيبة ، والربّ الذي الهم الأيوبي

والأبطال وأجيال الفقهاء السابقين هو سبحانه الذي يُلهم رجال الدعوة المعاصرة ويُبصّرهم دروب التوغل الآمن في ساحات المستقبل المشرق إذا ولجوا البيوت من أبوابها وجعلوا الفكر التخطيطي موضوع تداول يومي بينهم .

● ومن اللائق أن نوقن بأنه رغم كل مفاد الإحصاء وقاعدة البيانات وفنون التخطيط : **فإن المؤمن يبقى يعمل بالبركة الربانية ، ويطلبها، ويعتمدها** ، ولا يتحول إلى شخص ميكانيكي بحت تسيّره الأرقام ويتوكل على الماديات فحسب، بل يتوكل على الذي خلق هذه الماديات ، ويؤمن بأن الملائكة إذا نادت في الناس أنْ إنْ الله أحب هذه الجماعة فأحبّوها وأيدوها : فإنّ آثار صيحتها تفوق آثار الخطط الإعلامية مائة ضعف .

إنّ رضا الله هو الذي يجعل قلوب الناس تهفو إلى الجماعة المتصدية للإصلاح، وليست هي الإداريات والخطط والمناهج والإعلام والإغاثات ، ولابد أن يرجع الدعاة إلى هذه المعاني الإيمانية الأساسية ، لئلا تكون المتاهة في الزحمة السياسية .

● ومن الواضح أن الخُطة تبقى جسداً ، وإنما تدبّ الروح في هذا الجسد إذا تولى تنفيذها والقيام عليها عنصرٌ جاد ملذوع متحرق متشوق للغلبة والنصر وتحقيق الإنجاز في أرض الواقع . على اختلاف أنواع الخلفية التي تحركه وتدفعه ، أن تكون تربوية أو فكرية أو جهادية قتالية أو مهارة سياسية ، فسفيان الثوري ما صار إماماً في التربية والزهد إلا بعد أن لمس الناس سعة علمه ودقة فراسته وصفاء قلبه وبشكل استثنائي يرتفع عن النموذج السائد بكثير ، وكان ذلك شأن الحسن البصري قبله ، في عشرات من المصلحين .. وصلاح الدين إنما انتصر بهيبته ومروءته وسيماء العدل والإخلاص قبل أن ينتصر بسيفه ، **والقيادي في الدعوة الإسلامية شأنه شأن القدماء ، لن ترجحه الخطط مهما كانت مُحكمة مُتقنة ما لم يتقدم لتنفيذها بنفسٍ منفتحة ، وروحٍ طموحة ، وقلبٍ ثابت واسعٍ نقي ، وعلمٍ بالواقع يظاهر علم الشرع ودلائل الإيمان ، والإنجازات الكبيرة تنطلق من إنجاز روحي ، ومن مذهب استعلاء ، وسويعات تفكّر قرب محراب ، والعَزَمات تقودُ النهضات** □□□

1 عندما يَستَبد الطموح

□□ وقد منحناك نصف المعنى عبر هذا العنوان المليان ، ثم ستكسب نصف المعركة عبر الوضوح وتجانس المنطق ومفاد المنهجية وتلقين قواعد الاتزان . وإنما تلك هبةُ الله ربّانيةٌ أنت تغفلُ عنها وقد نبّهك سبحانه أنه هو (الرحمن ، علم القرآن ، خلق الإنسان ، علمه البيان) ! !

فالمقدرة الوصفية ، والمهارة في ترجمة الخيال ، ومُكنة استحضار المعنى الإستشرافي البعيد ونقله إلى الموطن المنظور القريب ، ومهارة جمع المتناثر في بؤرة، وتوزيع المتمركز نحو أطرافٍ في المحيط ، وإدارة المستقر حول محور : كلُ ذلك إنما هو نتاج التفوق إذا احتلت المنهجية العقل ثم انسابت نحو مكمن العواطف في القلب فاستعمرته فحصل الامتزاج ، وكلُ ذلك إنما يفسر نعمة (البيان) التي امتنّ بها الله سبحانه .

وبينما كان شابٌ نبه شريف قانعٌ عفيف يمشي : اعترضه رجل كهلٌ نبيل ، فسأله عن اسمه فقال : من أنت يا بُني ؟ فأجاب : فقال له : ومن جدُّكَ ولقبُك ؟ فحار الفتى جواباً . فهزَّ النبيلُ كتفه وقال لهُ : جدُّكَ فلانٌ يا بُنيَّ ، وقد نشأت يتيماً ، وحجبوا عنك الإرث ، ولك ثروةٌ نهبوها يومَ كنتَ طفلاً ، فاستيقظْ وعالجْ فقرك ... وعلمه أصولَ التجارة ، فأثرى وأصبحت له صدارة .

ذلك أنت أيها الداعية الغريب الناشئ بين طامعين ، واللابث مع الفطرة بين منحرفين ، فإن سلفك قد تركوا لك إرثك من الحِكَم والمواعظِ والتجاربِ وأصول التعامل ، فحرمك منها إعلام يزوّر ، ومنهجٌ تعليميٌ يثبّط ، وأنت الأحقُ بأن تستمع بمنظر شروق الطموح ، لتتوغل في عرصات العمل على منهجية ووضوح .

● وقد أقام الله تعالى الخليقة كلها على نظام وتدرجٍ موزون . وأنت ترى العناصر في نواة ذرّتها بروتون واحد فاثنان فثلاثة فتسعٌ وسبعون هو الذهب ، ثم تتوالى صُعداً حتى تشع ، وترى البيئة يحكمها تعادل ، ثم ترى الأفلاك تتجاذب فتستقر . **وأنت خليفة الله في هذا الكون ، وجعل لك في التطور ديدناً ، واختار لك من المنهجية سبيلاً** . وبها عرفت وعرفنا أن الحياة البشرية تموج ، وتزدحم في ثناياها الأفكار والرؤى والرغبات والوشائج والصولات والجولات والأفعال وردود الفعل كلها ، تومضُ وتهتزُ وتتضادُ في الآن الواحد ، في المكان الواحد ، فيصيبُ أهلها صُداعٌ وتستولي عليهم دهشة . فيضيعُ الحساب وتستغلق الوجهة . فيستطيلُ عُنقُ رشيدٍ وهبهُ الله مزيدَ عقلٍ ومنحه فضلَ شجاعةٍ . فيُصيحُ صيحةً تصمتُ لها الضوضاءُ ، وتلتوي **لها الأعناق . ويبرزُ مقتحمٌ أن أنا لها فاتبعوني ، فيقتفي خطواتَهُ منصِفون ، ويتبددُ في المتاهةِ آخرون وَجِلون ، فتصطف صفوةٌ وتنحازُ نخبة ، ويتاحُ لمعجزة الكتلةِ أن تبرهن على صدق من يراها أنها أصلُ ظواهر** حركة الحياة .

● **إن (معجزة الكتلة) هي المدخل الذي ينبغي أن تدلف منه الدعوة الإسلامية في حملتها لإصلاح الحياة** ، وجوهر حقيقتها أن العمل الفردي الذي يُبديه المؤمنون كلٌ على رسلهِ ووفق ذوقهِ واجتهاده ومدى علمه : لا يستطيع أن يمنحهم تفوقاً . مهما كانت النوايا صحيحة والقلوبُ عامرة . لكن العمل الجماعي وصيرورة الجمهرة المتناثرة حُزمةً واحدةً واستحالتها إلى كتلةٍ مترابطة لها أمير يأمر وخطة متفق عليها : حالةٌ أقرب إلى تحقيق الأثر ، تتضاعف احتمالات تحقق أثرها وفقاً لسعة عدد عناصر الكتلة ، وإتقان فنون العمل ، وعمق الطاعة . وسعة ما لها من ولاء في جمهورٍ أعظم منها يحيطُ بها .

● **والآثارُ تزدادُ نفوذاً كلما وضُحَ التناقض مع الفسوقِ أو كتلة الكفر ، فظُلم الجهول يقابله عدلُنا ، وإهمال المستضعف تفضحهُ نجدتنا وإغاثتنا وخيرياتنا ، وقعودُ المترفين تزري عليه نفرتنا ، وأحلام دُنياهم تزاحمُها أشواقنا الأخروية .**

وعندما أنزل الله آدم إلى الأرض أراد حكمةً أن يكون بعضُ أبنائه أعداء للبعض الآخر ، بما كان من الفرقان تبعاً لحقائق الضلال والإيمان .

● ومن هنا تنطلق خطة (**تطوير العمل الجماعي**) التي تمرّ بتطوير قدرات الداعية وتحقيق استقراره النفسي وتميزهِ الإيماني ووعيه الشرعي وإطلالته المعرفية على ساحة الأدب والتاريخ والفن ، **وأصلُ المقياس في هذا التطور أن يتحول الداعية المؤمن من مجرد مُلبٍ يقتدي وتابعٍ يقتفي ومجيبٍ ينفذ ، إلى قياديٍ يجتهد ومتقدمٍ يتوغل وراءٍ يبصرُ بفراستهِ معالم الغد العالي فيبني لصحبهِ مدارج الصعود.**

إن (الصنعة القيادية) هي المحور الذي تدورُ عليه محاولات التفوق ، وإن الله تعالى إن رَحم جمهرة الدعوة فوهبها قائداً عالماً واعياً سياسياً مربياً مبدعاً شجاعاً بليغاً ، وأدرك الجميع أيادي القدر الربّاني في ذلك ، فإنه والجمهرة التي معه مكلفونَ بمقارعة قدر السوء الذي أحاط بهم ، من سذاجةٍ أو ترددٍ أو إبطاء : بأقدار من الخير يتعرضون لها ويجهدون أنفسهم في أن تحل فيهم وتتمثل بهم ، من علمٍ واقتحام وشجاعةٍ ووعي.

وهذا ما ينقل معنى القيادة الفردية إلى صناعة (الطبقة القيادية العريضة) .

● وأهم ما يمكن أن تفعلهُ الجمهرة : أن تتوزع إلى تخصصات عديدة تلبي حاجة المرحلة والساحة ، وتغطي حاجة الناس ، ثم يغطي بعضها الآخر الحاجة المستقبلية للدعوة ، وتلك هي نظريةُ (صناعة الحياة) التي لم يكتمل فهم الدعاة لها حتىٰ بعد مرور وقت طويل على الجهر بها ، ولولا أن دُعاة من أهل الألمعية والذكاء والإبداع قد جسّدوا عملياً جوانب منها عَبْر براعتهم في تخصصهم وانتصابهم قدوات : لقُلنا أن الدُعاة يكسلون في تطبيقها ، في الحين الذي يجب أن تكون هي الطريقة التي نتقدم بها لعرض الدعوة ، والوسيلة التي نصنعُ بها كماً واسعاً عريضاً من الولاء الذي يُبديهِ الناس لنا ، والذي يتكفل بترجيحنا اجتماعياً وسياسياً وثقافياً ، وبتمويل ذاتي من الموالين انفسهم ، **وأكثر الأعمال**

السياسية والثقافية والإغاثية يمكن أن تقسمها الخطة الماهرة إلى مئات أقسام ووحدات تنفيذية متكاملة ، كلُ وحدةٍ ليست تحتاجُ غيرَ عددٍ قليل من الدُعاة الذين يمكن أن يسندهم الكثير من الموالين الذين يخلطون مع عملهم الصالح ووجوه التأييد وجوهاً من النقص تمنع الأعراف والقوانين الدعوية التنظيمية أو الشرعية أن يكونوا معها أصحاب صفةٍ رسميةٍ في الكيان الدعوي ، ولكن يُتيحُ الميدان أن يكونوا في الصف المساند وأن يتحملوا ثقلَ التنفيذ ، ومن غير أن يشعر مثاليٌّ متشدّدٌ في الشروط بحرجٍ في الأمر أو أن يتصور في ذلك مغامرةً كبيرة ، لأن عناصر الدعاة من أهل النضوج والوعي والوفاء ستظل هي التي تمسكُ بالزمام القيادي في كل هذه المفاصل والميادين الجزئية وأطراف النشاط ، وذلك يكفي حتى لو كانت نسبتها عشرة في المائة فقط ، إذ المفترض أن الأعمال الإعلامية والتربوية لعموم الكتلة القيادية ثم انتصاب الثقات الأكفاء قادةً ظاهرين : من شأنه أن يرفع درجة إيمان هؤلاء الكثرة الباقية ، ووعيهم وثقافتهم وحرصهم على استمرار الولاء ، وبإمكان مجموعة تخطيطية طموحة تُتقِنُ توظيف الطاقات على هذه الطريقة النسبية الشبيهة بصنع المحاليل الفعّالة من أصل كثيفٍ مركز قوي التأثير : نقول إن بإمكانها صُنع خارطةٍ عريضةٍ جداً كثيرة العروق والتوزع والتشابك ، في كلِ نهايةِ غصُنٍ منها مؤسسة أو جمعيةٍ أو نادٍ أو مركزٍ أو معهدٍ أو أي شكلٍ من أشكال التجمع الهادف الذي يحوي ثلاثةً أو سبعةً أو عشرةً أو عشرينَ من الدعاة ، وخمسين ومائة ومائتين وألفاً من أنصاف وأثلاثِ وأرباعِ الدعاة ، ويكون استغراق جميع التخصصات العلمية والثقافية والمعرفية عَبْر هذا الانتشار ، ويتمُّ تثقيف جميع العناصر في هذه الشبكة الواسعة بثقافة فكريةٍ واحدة ، وتزويدهم بطرائق منهجية متقاربة ، وتوفير محركاتٍ إبداعية لهم ، ووسائل مدنية وتكنولوجية ، مع تدريب على نظرية إدارية جامعة ، ثم ضبطِ كلِ مفاصل هذا العمل الضخم الكبير من خلال منبعٍ قياديٍ رقابيٍ مركزي يبعثُ الومضات ، ويراقبُ ويستدرك ويرمم ويبذل الصيانة فتكون الساعة الدائرة ذات

الإحكام والضبط ، وذلك هو مفاد النمط الجديد المتطور المتقدم للأداء الدعوي في مجتمع معقدٍ اقتربَ خطواتٍ من أجواء الحرية وأبتعد عن وساوس أيام السجونِ والمِحن ، وقد تبلغ المؤسساتُ ألوفاً من غير أن تتولّد رهبةٌ في قلوبِ الرهط الذين يخططون ، وقد يكون العمل الإعلامي وحدهُ في هذه الخارطة حاوياً لمئة مجموعةٍ تنفيذية ، مثلُ جرائد ومجلاّت عامة ، ومجلاّت تخصصية، وإذاعة أو إذاعات محلّية وعشرين فرقةٍ صغيرة تخدم قناةً فضائية ، وخمسين موقع إنترنت، تديرُ الموقع منها مجموعةٍ من شبابٌ أذكياء من أهل الإبداع يقودهم مخضرمٌ واحدٌ، والأعمال الإغاثية والتعليمية مثلُ ذلك ، فضلاً عن سعة شعب العمل السياسي واندماجها مع كلِ فرص العمل الشعبي وتوازيها مع دوائر العمل النقابي المهني .

● وهنا تظهر أهمية خطة التطوير والتدريب والتربية القيادية ، التي تمرُ عَبْر تعليمِ التخطيط الاستراتيجي والمرحلي ، والتدريب الإداري ، وغرس فذلكات الإبداع ، إضافة إلى قواعد السياسة الشرعية والفقه المقاصدي وفلسفة التاريخ وفرائد الأدب واللمسات الفنية ورواية تاريخ الدعوة وتجاربها وقصص أبطالها . ثم لا يكون الاكتفاءُ في ذلك بتلقين مجرّد ، بل بمشاهدة أفلام تسجيلية ، وأفلام ممثلة جيدة ، وتعليم الحوار والنقد عَبْر ندوات ، والقيامِ ببحوث تتجانسُ مع الهموم الدعوية وحاجاتِ العمل ورغبات الصاعدين ، وقد يتزيّنُ كل ذلك بسياحاتٍ إلى مراكز العلم والمعارض العامة والمتاحف والمؤتمرات والساحات الساخنة وآثار المدنيات ومواقع المعارك ، وتتويج كل ذلك بإيحاءات الجمال عند قممٍ وسفوحٍ وأنهارٍ وبحار .

● ولنشرح معنى حضور الداعية لمعرض صناعي واحد ، فان معنى ذلك أنه يطّلعُ على إبداع خمسة آلاف عقل ذكي من المهندسين والمخترعين والمصممين في ساحات عالمية عديدة تجيء طواعية وتتركز في مكان واحد لتري الزائر دليل نبوغها وتحطيمها الصعاب واكتشافها مسالك الفنون ، فإن المعامل إنما تتنافس

بينها من خلال تنافس عقول مهندسيها الذين يستفزون أعماق ومضات عقولهم ليتناوشوا الإبداع ويكتشفوا حلاً عملياً لحاجة مدنية ، وحين يتعامل الداعية مع مظاهر هذا التنافس الإبداعي تسري إليه العدوى في اللاشعور ، وتبدأ تدور في دواخل نفسه أشياء مثيلة من توازيات الأفكار وتقاطعاتها واستداراتها وحاجتها إلى محاور توزيع ومفاصل تركيز ، فيتحول البعد الهندسي عنده إلى بعد فكري عن طريق القياس والمحاكاة والتقليد ، أو إلى بعدٍ تربوي ، وليس من المحتم أن توصله أفكاره الجزئية المتولدة إلى فكرةٍ شمولية يمكن استخدامها في حياته العملية ويجعلها من معالم تخطيطه ، وإنما يكفي في ذلك أن تكون هذه المحاكاة سبب تحريكٍ لذكائه من بعد خمول ، أو تتعتق بعض الجزئيات غير الكاملة عنده وتنتظر انتظاراً طويلاً حتى تأتي عملية محاكاة لاحقة تمنحه وتهديه الجزيئة الناقصة ، فتتكامل الفكرة عندئذ ، والعنصر القيادي إنما يتفوق على بقية البشر عبر هذه الحركة العقلية والومضات المتعاقبة التي تستفز كوامن طاقاته ، فتطفو أجزاء الصواب إلى السطح ، فيلتقطها ويشكل منها ما يريد ، وتخدمه النزعة المنهجية والمسلسلات المنطقية في عمله التركيبي هذا ، بينما العاجز من الناس والإمّعة التابع كسولٌ لا يسترسل ماشياً مع فكرةٍ تقليدية فضلاً عن أن تكون إبداعية ، فيبقى باركاً ، إذ المنهجيُّ تسرع به القفزات ، ووقوده العقلي لا ينقطع عنه ، بل يجد مع ميلاد كل فكرة طريفةٍ لذةً عارمةً تغريه بمزيد توغل ، وتدعه مغرماً بالذهاب إلى الأقاصي والأراضي البكر .

● والمتاحف ومعارض الفنون يمكن أن تحولّها الممارسة المنهجية إلى مصدرٍ آخر من مصادر الإثراء الفكري والتوازن النفسي والتنويع التخطيطي ، لأنها هي أيضاً محلُ اجتماع عقول وأذواق جمهرةٍ من المبدعين ، ولكن على طريقةٍ أخرى ليست بالضرورة هي الطريقة الهندسية ، وإنما مؤادها الحاسة الفنية في النفوس الإنسانية ، إذ تعتمدُ النزعات الفنية على مجموعة أنساقٍ وقواعد في تناسق الألوان والخطوط وتنويع العلاقات بين الجزء الصغير والمساحة الكلية للعمل

الفني، **ومعايير الجمال في ذلك هي معايير ثابتة** إذا تمَّ التأمل فيها من زواياها الأصولية التقعيدية الكليّة ، ولكن العقل المتحرك والنفس الساكنة يمكنهما معاً أن يجتمعا ليحققا من تناقضهما تعادلاً ، فيهجمُ الذوق الاجتهادي على هذه النتيجة التعادلية ، فتتولد منها عشرات المعادلات الفنية التي قد يجمعها نوع تشابه ولكنها لا تـُلغي خصوصيتها تحت أثقال التطابق ، بل تبقى كُل معادلة جمالية تحتفظُ بنكهةٍ خاصة ، وبمقدرة على إحداث انطباع في نفس الناظر جديد ، وذاك هو الذي يميّز كل لوحة من لوحات الفنان الواحد عن غيرها ويميز أسلوب كل فنان عن أساليب غيره ، في تنوّعٍ كثيرٍ لا تكادُ تجدُ لهُ نهاية ، **وهذه الإمكانية هي التي استفاد منها الفن التجريدي الاستفادة الواسعة التي جعلتهُ واعظاً ناطقاً لا تكادُ تفلتُ نفسٌ إنسانية من جاذبية إلقاءاته وتأثيراتهِ المباشرة المعلنة أو الخفية المندسّة في اللاشعور ، واجتهاد القيادي المسلم ينبغي في جانب منهُ أن يعتمد على هذا النمط الانطباعي الفني والتحريك الذوقي ، ومن ثم كان كلُ معرضٍ أو متحفٍ بمثابةِ مدرسةٍ تساهم في تعليم الصنعة القيادية** وغرس أسسِها في نفوس الدعاة ، وبعض الدعاة يتوهمون أشدّ الوهم حين يتبرؤون من صلتهم بالفن ويزعمون أنهم على خيرٍ وأن الوعي يمكن أن يغمرهم من دون إضاعة وقتٍ في التأمل الفنيّ ، وإنما تلك مغالطة يرتكبونها وهم لا يعلمون ، وهي مزاعمُ من بقايا الطرائق الارتجاعية عند بعض الدُعاة مع أنهم يَحيَونَ كأعضاء في مجتمع متطوّر مدنيّ مُعقدٍ غاية التعقيد ، والفاحصُ بعين التأمل الواقعي يمكن أن يكتشف بوضوح أنه لا ينجو داعية من هذا التأثر الفني ، لأنه يتعرضُ لهُ منذ نعومةِ أظافره عَبر المناهج الدراسية كُلها ، حتى لو كانت علميةٍ بحتة ، لأن واضعي المناهج إنما استفادوا من المعطيات الفنية وجعلوها قالباً لعرض حقائقهم العلمية ، ثم المجلاّت والجرائد التي يطالعها كلُ داعية إنما توظف المعايير الجمالية لتكثيف التأثير الفكري في نفس القارئ ، وفي الإعلام التلفزيوني المرئي ، وبخاصة في عصر الفضائيات : شيءٌ كثيرٌ من توظيف المعادلات الفنية لخدمة الفكر

والسياسة . وكذلك يتواصل تأثره الفني مع كل نظرة يلقيها على عمارة جميلة أو بيت أنيق يمر بهما إذ هو يتنقل تنقله اليومي المهني . ويكون المعماري الذي بناهما قد ربّاه وارتفع بذوقه وإحساسه الفني وهو لا يدري . **وفي زخرفة المساجد درس فني متواصل لكل مصلٍ ، وفي أسطر خط الثلث كتلة تأثير جمالي آخر ، ولذلك فإن الداعية حين يزعم التكبر على الفن أو الازدراء لهُ إنما يتجاوز هذه الغزوات الفنية التي تغزوه في عُقر داره وتصل إلى أعماق عقله وقلبه وشعوره وذوقه وتنجح في إحداث تكييف بطيء لا يشعر به هو ، وانتباهُه إلى مثل هذه الحقيقة هو المفتاح الذي سيفتح عليه أبواب الاستعانة بالاجتهاد الفني من أجل الوصول إلى اجتهادٍ فكري وسياسيٍ** هو بأمسّ الحاجة لهما في أدائه الدعوي في عالم معقد . **وبذلك عاد مذهب الجمال عنصراً من عناصر المعرفة يكملُ مذهب الشافعي ومالك .**

● فبمثل هذا الوعي لمكامن المؤثرات الاجتهادية في عالمنا المتطور يمكن أن نستطرد لنكتشف أن جميع أنواع الهندسة والعلوم التطبيقية والأساليب الإدارية ومنظوماتها يمكن أن تكون مصادر ثرية لاكتشاف القواعد التخطيطية ومسالك المنهجية . وفي الإقرار بذلك ما ينقلُنا إلى التأكيد وبصراحة على **أن الثقافة الشمولية ، كلها ، والتي تتوزع في ساحات التاريخ والأدب والفن : إنما هي ركنٌ في إعداد القيادي المسلم يلي في أهميته رُكن العلم الشرعي ومعرفة ثوابت العقيدة والحلال والحرام وما يتبعها من المتغيرات ، وكذا العلوم التطبيقية ركن ،** وشباب الصحوة بحاجة إلى هذه الإطلالة المعرفية التي يدونها مسلمون ملتزمون ، وإلى ما يكملها من فلسفة العلوم التطبيقية ، وهذه المدونات الإيمانية هي التي يليق أن يبدأ بها الجُدد من الدُعاة ، لتحميهم من تأويل بعيدٍ أو فكرٍ جاهلي . وأما الدُعاة القدماء المتوغلون فلسنا نأبه أن يتجولوا في أركان المعرفة العالمية ، إسلاميّها وجاهليها ، إذ يمكن أن تكمن في ثنايا المعرفة العالمية أجزاءٌ من الصواب تستندُ إلى فطرةٍ ، أو إلى بقايا من أثر النبوّات .

● ويعترضُ داعيةٌ عراقيٌّ عصرته الآلام وأتلفته الأحزان فيتساءل : أفي مثل هذا الوقت الصعب يأبى الراشدُ إلاّ أن يُقحمنا في فذلكاته الفنية وتخريجاته المعرفية والعراق تسيلُ فيه الدماء بغزارة ، وتتفجرُ المفخخات ، وتتواصلُ الصليات ، وتتصاعدُ أدخنة الدبابات الأميركية المحترقة ، وتمتلئ الشوارع بالاغتيال والاختطاف والسرقات ، وتتجاوب في السماء أصداءُ أزيز الطائرات ؟ أم يعظ الراشدُ البغداديَ الحضاريَ العريق وهو يرى تنفيذ خطة الساسة في تهجير متكلّفٍ للأعراب وأبناء الأرياف نحو بغداد من أجل تبديل المعادلات الاجتماعية ؟ ؟ ولعل فلسطينياً يعترضُ أيضاً ، ويستغربُ أن يكون عرض هذا الفقه في زمن تمشيط غزة وكثرة قتلى صواريخ طائرات الهليكوبتر الإسرائيلية ؟ ؟ وفقه الدعوة يقول أنْ : نعم ، ثم نعم ، من أجل أنْ لا تضيع الأصول وتشيع في الصفوف الدعوية أُميّة من يخالطنا من الغوغاء أو يغزونا من الظلمةِ والدهماء ، فإن الفوضى إنما هي جزء من الحرب النفسية والفكرية على مدى التاريخ ، يصنعها العدو الذكي لكي يحوّل حياة المؤمنين إلى حيرةٍ وذهول وارتجال وابتعادٍ عن المنطقية وحقائق العلم وإيحاء الفن وإلقاء الأدب ، فتخريب العراق وفلسطين ، أو تخريب كل بلاد أمة الإسلام : لا يكون فقط بالإفقار المادي وهدم البُنى الأساسية فقط ، بل بالتخريب المعنوي ، وقتل الإبداع ، وكبت الفكر ، وتشويه الأذواق ، وحرف الأخلاق ، ويليق أن إذا رأينا خُطة إذلال لنا وتشتيت ونمو حركات ارتجالية تريد أن تعيدنا إلى جاهلية العقيدة أو جاهلية العلوم أو جاهلية التعامل وأميّة التأمل : أن ننتفض ونرفض ونقاوم الأطوار العامية الهابطة ، وأن نحرص على التشبه بأنماط النبلاء وطباع النُخبة وسمت العلماء ، ليكون إشعاع يقتدي من خلاله الأمي التابع والعامي السائب فيحرص على الصعود بدل أن يستسهل الهبوط ، وتتأسس فيه حاسة الحذر من تهمة تتهمه بالغوغائية والفوضوية ، ولو استرسلنا مع ضغوط الواقع ومراد أهل السوق والشارع من دون مقاومة لأوشكنا أن نفقد مكتسباتنا التربوية ، بل مراقبة التاريخ

ترينا أن حملات الإصلاح إنما تنطلق إذا اشتدت الأزمات وحوصر الأشراف واستبدت الدهماء بالنخبة ، ومن هنا فإن وصول التخريب الحالي إلى أوطأ منازله يكون هو المحفّز الأكبر لمسيرتنا نحو التميز المعرفي بعد تأسيس الإيمان .

● **والداعيةُ المسلم اليوم ، إذ هو يعيش في رحاب الوعي التخطيطي : يليقُ له أن يرجِعَ إلى الوراء ليتذكر أياماً من الأداء العفوي في العمل ، تقودهُ إلى استحضار أخبار رحلته الطويلة ورحلة أصحابه في الخروج من الارتجال إلى المنهجية ، ومن الجزافية إلى الهَدَفية ، وسيكتشف أنه وأسلافه قد اضطروا لتحمّل أثقال المعاناة اضطرارا ، وأنهم دفعوا ضريبةً من أجل حيازة النمط التخطيطي ، وما كانت الرحلة سهلةً أو قصيرة ، ولكن التراكمات البطيئة للصواب التي توفرت عَبْر امتداد زمني ومكاني هي التي صنعت كتلة الوعي التخطيطي الحاضرة** وأرغمت الدُعاة على إتقان التمهيدات واستيفاء الشروط وممارسة التطوير والحرص على المتابعة والتقويم والاستدراك ، مع أن الفاحص بالعين النقدية والنظر المنصف يمكن أن يدرك بأن أصول الوعي قد توفرت لدى الإمام البنا رحمه الله بشكل واضح ، وأنهُ كان يسعى على بيّنة منذ قبل المؤتمر الخامس حين أصدر رسالة بين الأمس واليوم ، ثم ما كان منه من تدرج وتمهيدات وأمل مستقبلي ، لكن غيابه المفاجئ عن الساحة ، وملابسات حرب فلسطين الأولى ثم المحنة : هي الأسباب التي أوجدت لدى خلفائهِ ذهولاً بسبب اضطرارهم لمداراة حاجات الوقت وإفرازات المحنة ، وكانت معالم التخطيط قد انتقلت إلى بعض البلاد العربية حين غاب أبطال مصر في السجون ، وقام في العراق وعيٌ واعد ، إلاّ أن سطوة الدعاية الناصرية كانت أعتى من الهمس الدعوي ، واستمر السير البطيء إلى أن حصلت نكسة حزيران عام 1967 وتبيّن فشل عبد الناصر ، فعادَ الناسُ إلى رشدهم ، وانقدح زناد الصحوة الإسلامية المعاصرة ، فتنامت المفاهيم التخطيطية ، وعاد جذر الوعي القديم ليورقَ ويخضّرَ ، وتلك الانطلاقة التي اعتمدت تجميع الوعي المتناثر واستذكار الأشواق القديمة كانت هي سمة عقد

السبعينات ، وفي ظِلال ذلك الانفتاح تم ترسيخُ نداء الحاجة إلى الخطو الموزون والسير المنهجي ، وخدمت ظواهر قدرية ذلك الإحساس خدمة جيدة ، منها خروج قدماء الدُعاة في مصر من أصحاب الإمام البنا من السجون ، حيث تمّ التوريثْ واندماج الأجيال . ومنها أيضاً بدأ نشوء المجموعات الدعوية في شمال أفريقيا وبعض الخليج وأماكن خارج العالم العربي وفي عمل الجاليات في الغرب ، مما اظهر حاجةً استهلاكية حقيقية لناتج الوعي التخطيطي المتجمع ، ثم بعض الآثار الإيجابية النفسية التي أفرزتها حرب التحريك الساداتية حين عبر قناة السويس ، فهو وإن أراد من حربه مجرد تحريك عملية السلام والتي وصل إليها في (كامب ديفيد) سنة 1978 إلاّ أن تفاؤل الناس بالانتصار الحربي قادهم إلى موقف معنوي متفوق استفادت منه الدعوة وطوّرتهُ إلى وعي دعوي خاص ، وما كاد ذاك العقد يُشرفُ على الانتهاء حتى أثبتت الثورة الإيرانية قدرة الشعوب على أن تمارس أكبر وأعقد عمليات التغيير السياسي ، بغض النظر عن الملابسات التي أحاطت بالثورة الإيرانية ، وإذا أخذنا بنظر الاعتبار هذه العوامل الأربعة اتضح لنا أن **عقد السبعينات كان هو عقد استئناف الفكر التخطيطي ، وعقد محاولة التنظير ، وتوفير الظروف النفسية التي تتكفل بتصعيد الجانب الشعوري المساند للأنفاس المنهجية ، والتطلع إلى حلول وبدائل وخيارات وتحويرات ومشاريع تسعى نحو التكامل ، وتوصيفات للواقع وجرد وإحصاء ، وانجذاب نحو التخصص واستيفاء المهارات ، وغيرِ ذلك مما يُشكّل البُنيةَ الأساسية للمسيرة التخطيطية ، وتوفير البيئة المساعدة ، واللمس الرفيق والمسح الحنون على رؤوس يتامى التخطيط ، أو الربتَ العنيف على أكتاف من رقد فاسترخى .**

● **تلك النبضات هي التي جعلت عقد الثمانينات يستثمر وبكفاءة عالية معطيات السبعينات ، وبصورة مباشرة وسريعة ما كان فيها تأخير أو تمريض ، بل تحقق استيعابٌ فوريّ للنداء المنهجي وللطموحات العريضة ، فشهدت سنة 1981م مولد التنظيم العالمي الدعوي، مصحوباً بزخم معنوي عظيم، مما أتاح**

على مـدى ذلـك العقـد العديـدَ مـن المـؤتمرات الدعويـة والـدورات والنـدوات والزيارات المتبادلة بين دعاة الأقطار المشاركة، فكان الركـازُ يُنـبشُ عنـه، والرُكـام ينظـف ويُعـاد ترتيبـه . والـذكرياتُ تـُستعاد والاقتبـاس تفـتحُ لـه الأبـواب، والمحاولات النقدية تزداد جراةً، **مما يجعلنا نصف ذلـك العقـد بأنـه مرحلـة تبـادل الخبرات، والتناصح، والتماس الطريـق إلى الاجتهـاد التخطيطـي، وتحديـد نقـاط الالتقاء والتوسط** إذا جنَحتْ النظرات إلى مبالغةٍ ، فأصبحت بكـل ذلـك الكتلـة المعرفية المنهجية واضحة، وأركـان الفكـر التخطيطـي ضـاربةً في عمـق الوجـدان القيادي، وكأن المستلزمات أصبحت جاهزة وتنتظـرُ مسـتخدماً ومقتحمـاً يصـرخُ ويتصدى .

● **هذا التسلسل هو الذي جعل الهيمنة الأمريكية على الخليج والعراق وبعض البلاد العربية والإسلامية بعد تحرير الكويت عامل التحـدي الأكـبر الـذي يقـدحُ الزناد ويحوّلُ التنظير إلى واقع وعمل ، وكان هذا التحدي هو العنصر النـاقص في المعادلة، فاقترن بعاملٍ تصعيدٍ معنـويٍ يحققـهُ الجهـاد الأفغـاني ليُصـبحا المنطلـق التنفيذي للتخطيطات الدعوية على نطاق عالميّ بعد سـنةٍ واحـدةٍ مـن بـدء عقـد التسعينات ، وهو العقـد الـذي امتـاز بـالتخطيط الفعلـي ويـتراوح** بـين الإتقـان ودرجات دونهُ ، وبقيت تلك الطبيعة التنفيذية المتقدمة الواعدةِ السائرةُ على بيِّنـة من أمرها : هي صفةُ العقد الأخير من القـرن الماضـي وإلى حـين مـا يقـربُ مـن سنتين بعدهُ إلى حـين أحـداث سـبتمبر والهجـوم علـى أبـراج نيويـورك ، حيـث اضطرت الدعوة إلى اعتكافٍ ومحاولة ترميم، ووقفة مداراة ، وانعطافة استدراك ، **وكانت القرائن تنذر بأن العقبات قد تكونُ قويةً وشائكة ، وكاد أن ينحسر بعـض التقدم الذي حققتهُ مسيرة ربع قرن لـولا أن الانتفاضـة الفلسـطينية وانتصـاراتها ونموذجها الفذ في التحدي البطولي والبـذل والإصـرار : قـد أعـادت العافيـة إلى نفوس الدعاة المنكسرة وجددت لهم الأمل .**

● وسرعان ما جاءت النجدة في صورة شرٍ مستطير ، حين أراد بوش السوء، وأراد الله الخير ، فأسكرته الوساوس اليهودية ، فاندفع نحو استعمار العراق، فوجده مستنقعاً غاصت فيه أقدامهُ ، وتلوثَ وجههُ بطين ، وانقلبت حملة الاستعمار عبر الفعل الجهادي إلى مرحلةٍ يقظةٍ جديدةٍ لعموم الأمة الإسلامية، تستأنف فيها استعمال التراث القديم ، وتفتحُ أبواب الردود المنهجية على العولمة الأميركية ، والأيامُ سجال ، والانتصاراتُ ميدانها النفس الإنسانية حين تأبى وتطمح ، وليس ميدانها السلاح ، بل حين يستبد الطموح تتضاءلُ محرّكات السوء المقابل ويبدو العمالقة أشبه بالأقزام ، فإن في الأمة اليوم مشاعر ثورية ، وعزائم جهادية ، ورغبةٌ في العناد ، والتفافٌ حول الدُعاة ، وبوادرُ عودةٍ إلى الوعي ، وكلُ ذلك استعداد لتحقيق التلاحم القوي بين القيادة الدعوية وجُنديةٍ عريضةٍ ممتدةٍ في العرصات العالمية قوامها الشعوب التي صحت فرأت شمس الطموح فاستعدت لمسيرة الاستئناف .

● وكان كلُ هذا الاستعراض التاريخي لنشأة وتطور الأحاسيس التخطيطية ضرورياً ليدرك جيل الدعاة الحالي مكامن القوة وكيف أنها تحتاج إلى وقت طويلٍ للنضوج الطبيعي غير المتكلف ، وأن صبرهم الطويل وامتدادهم الزمني والمكاني قد أثمر تحديّاتٍ إسلامية للكفر والعولمة والظلم الاستعماري ، ووضعتهم الأيام في المكان القيادي ، وأن العمل الإسلامي لا تليقُ لهُ القفزاتُ والارتجالات والعفويات .

● ولابد لنا بعد هذا البيان أن ننعطف نحو ذكر حقائق أخرى مهمة توضح قضية التخطيط ، وأول ذلك : أن مذهب القيادة إنما يستبين عبر الخطة ، فإن نمط القيادة في الأداء ، والأفكار القيادية التي تحدد فهمها للعملية الدعوية التنفيذية : كل ذلك يترجم الرؤية القيادية النظرية للتخطيط ، واختيارها لاجتهاد معين من بين اجتهادات عديدة تقول بها آراء المخططين .. والغرض من هذا التنبيه : تقرير ظاهرةٍ مفادها أن الخُطة إنما هي انعكاس مباشر لنوع الفكر التخطيطي

الذي تحمله القيادة ، وما هي بعائمة أو عديمة النَسَب ، ولذلك لا يمكن أن تحجنا قيادة وتلزمنا بوقف الحوار التخطيطي بعد إقرار الخطة بحجة أن حقائق الواقع توجبها ، فتأمر برفع الأقلام وتزعم أن الصحف قد جفت ، بل لها أن تلزمنا بالخطة ما دامت قد تمَّ إقرارها ، ولكن في نفس الوقت نبقى نبحث عن الأحسن والأولى ، بروح نقدية ، ونظل نتداول الفقه التخطيطي العام ونظرياته ، وهذه حقيقة لها مردود إيجابي نافع إذا تداولها دعاة يبحثون بنفسٍ سوية وديدنهم اكتشاف ما هو أصوب ، أو لها مردود سلبي إذا تداولها موتور ومخالف ومفتتن انشقاقي .

● ومن المسائل التجريبية المرئية : وجود قصور لدى الأتباع وجيل المنفذين في فهم الخطة ، ويعني ذلك احتمال وجود بَونٍ بين ما تريده القيادة من خطتها وبين ما يكون من استجابة الأتباع ، والسبب في ذلك أن القيادي يعايش القضية وينفعل بها ويفكر بشكل أعمق ، بينما المنفذ يتلقى أمراً ، ولا تكون عنده موازاة نفسية لواضع الخطة ، وربما حتى الموازاة العلمية تكون أقل أيضاً .

هذا العيب من عيوب التخطيط إنما تكون إزالته وعلاجه بتدوين شرح للخطة أولاً ، وبإشاعة الوعي التخطيطي ثانيا ، وفي ذلك تجارب ، ومدارسة كتب فقه الدعوة علاج جيد في هذا الباب .

وفي تاريخ الجماعة : أنها أصدرت في العراق في الستينات مجلة "النقيب" وبلغت أعدادها في حدود الستين ، وشرحت الكثير من حيثيات الخطط ، مثل تجويد الاجتماع الأسري ، وعلاج الفتور ، والتعامل مع المؤيدين ، وتنسيق العمل في المنطقة والقطاع ، وفنون المخيمات التربوية ، وكتابة التقارير ، وأمثال ذلك من هموم العاملين ، ثم أكملت العين الشرح في الثمانينات والتسعينات .

لكن الحاجة تبقى أوسع من ذلك ، فقد تجمعت تجارب عالمية كثيرة ينبغي أن تؤخذ بنظر الاعتبار ، ودوّن عدد من مخضرمي الدعاة مذكراتهم الخاصة ، وفيها

فقه دعوي جيد ومتنوع ، ولابد أن تتقاسم العناصر العاملة بمراكز التطوير واجب استخلاص تجارب في ميادين وأبواب عديدة من مجموع هذه المذكرات .

والذي يشجعنا على هذا أن الكتب الغربية في علوم التخطيط ، والتي يعتمد عليها الدعاة كثيراً في إنجاز العمليات التخطيطية الدعوية : إنما هي كتب موضوعة لسوق الجيوش أو لشرح أداء عمل الشركات الاقتصادية والإدارات الحكومية ، بينما التخطيط الدعوي له حيثيات مغايرة وخصوصية ، ويتدخل الجانب النفسي العاطفي فيه كثيراً ، وتحكمنا أحكام الحلال والحرام وثوابت العقيدة ، مما يتطلب مهارة وحذراً عند الاقتباس من كتب التخطيط الغربية .

وليست المذكرات وكتب فقه الدعوة هي فقط مورد رواية التجارب ، بل يلزم المخطط الدعوي أن يستعرض تجارب الأقطار كلها ، وأكثرها لم يدون بعد ، وإنما نتعرف عليه من خلال ما اشتهر أو بسؤال أهل كل قطر .

فالأستاذ محفوظ النحناح تكلم لإخوانه كثيرا ، وشرح انعكاس أحداث الجزائر على الخطة الدعوية ، وتكاد التجربة الجزائرية أن تكون أكمل خطة في التعامل مع العنف والتعاطي مع معترك سياسي صعب .. كذلك حزب الاتحاد الإسلامي الكردستاني نشأ في بيئة تحتكر الأحزابُ العلمانية فيها حقوق العمل السياسي ، فسَلَّ نفسه بمهارة من خلال المبالغة في الصفة السلمية إذ الغير يحمل السلاح ويتعامل مع الدول الإقليمية والعالمية ، ووضع زعيمُه الأستاذ صلاح الدين صادقي معادلته الصحيحة : لا نثور ولا نستثير ولا نُثار ، كعنوان لمرحلية ليس لها إلا أن تكون كذلك ، وإلا يكون المَحْق ، وصارت سيرة الحزب لأكثر من عشر سنوات مثالاً لعمل إسلامي مستضعف في محيطٍ تعلو فيه لغة السلاح ، بينما خرج عن مفاد هذه المعادلة دعاة مسلمون أكراد آخرون فانتهت بهم الصدامات إلى تجزؤ وضمور عددي .

بعض الدعاة في أقطار تجاوزت هذه المراحل يزهدون في استيعاب حكمة هذه الخطط في التعامل مع المحيط الشرس ، وذلك خطأ ، فإن الداعية في دعوة متقدمة

يستفيد منها في توليد أفكار عن طريق القياس عليها إذا حدثت مشكلة مقاربة في الصفة والعلّة ، أو إنه سيحتاج إهداء ها إلى بلد آخر تكون الدعوة فيه ضعيفة ، فيكون وسيطاً في نقل التجربة إذا وضعه القدر في ساحة أخرى أو في دور الهجرة الخليجية والغربية عندما يجتمع الدعاة من بلاد كثيرة ويتبادلون التجارب ، وقد تكون بعض بلاد إفريقيا السوداء ووسط آسيا بحاجة فعلية لها ، فيكون الداعية العربي المستوعب لها راوية لمفادها وعنصر تثقيف وتوعية ، فالمدى عالمي ، وكذلك **ينبغي أن تكون أفكارنا التخطيطية ذات شمول لتتناسب مع تنوع الحاجات العالمية ، وعندما تنعقد المؤتمرات تظهر الحاجة لمثل هذا التنوع التجريبي وتسقط الحماسة المنحازة للمحليات و الجزئيات** ويتفوق التصور الواسع على التصور المحدود .

● **المهم أن ننتبه إلى أنْ شرح الخطط وتفسيرها وبيان الفقه الذي انبنتْ عليه إنما هو عمل له مكانته ضمن نظرية التخطيط ، وليست البطولة في أن تضع خطة فقط ، بل في أن تشرحها وتفهمها لجمهور الدعاة المنفذين لها ، وذلك يكون بالتقعيد ورواية التجارب ، والاستشهاد بفحوى قاعدة المعلومات المتجمعة من عمليات الاستبيان الدقيق الذي يصف واقع الدعاة والبيئة المحيطة** ، أما أن تبقى الأفكار التخطيطية عائمة ، أو في ذهن أحد دون أحد ، أو هو الداعية يتذكرها حيناً وينساها أحيانا : فخطأ . وكم من فكرة نسيناها في زحمة الأعمال وفي ثنايا الأحزان ، ثم تأتي بعد فوات الأوان ، فنلوم أنفسنا أن لو كنا قلناها في مناسبتها .

ويليق أن نتذكر **أن التدوين يُخرج الفكرة من دائرتها الفردية إلى أن يكون لها إقرار جماعي ، أو نقض وردّ لها بمعقولية ومنطق ، بحيث تأخذ حجمها الصحيح** ، بينما المرء إذا احتفظ بأفكاره تظل كما هي ولا تنال إجماعاً أو نقداً يصححها أو يتم اقتراح شرط لها يستدرك عليها ، فالإفصاح عن المكنون أفضل من الصمت ، لما يطرأ على الفكرة من تعديل أو إضافة أو اشتراط .

● **ومن القضايا المهمة في علم التخطيط الدعوي : ضرورة التربية التخطيطية** ، وهو غير مسألة تدوين الخطط وشرحها ، وإنما هي مسألة أوسع تعتمد السلوك

وتدرب الداعية على أن يكون منهجي النمط ، وأن نجعله يتجانس مع المعاني التخطيطية من خلال غرسها في اللاشعور عبر كثرة ذكرها وتلقينها وتنويع أساليب تفهيمها والإكثار من التمثيل لها ، **وأنجح الطرائق في التربية التخطيطية : التبكير في تقسيم الدعاة الجدد إلى اختصاصات عديدة** ، وهي فكرة اقترحها المنهج التربوي العالمي منذ ما يقرب من عشرين سنة ، فيتم تعليم الأسرة الأولية فقه هذه الفكرة ، ونطلب من كل عضو أن يختار لنفسه تخصصاً معيناً يبدأ بطلبه وتركيز مطالعاته فيه ، تماشياً مع قول عمر بن عبد العزيز رحمه الله من أن خير الأمور حقّ وافق هوى ، أي وافق الرغبة ، وليس الهوى المذموم ، فقد يختار أحد أن يتعلم الشرع ، وآخر تاريخ الإسلام العام أو تاريخ البلد ، وآخر يختار التتبع لأخبار السياسة والأحزاب ثم تحليلها ، وآخر يميل إلى الإعلام الصحفي ، وآخر إلى الإعلام المرئي ، وآخر يتتبع علم الاقتصاد العام ، واقتصاد البلد ، وآخر لاقتصاد النفط ، ومن يرصد نفسه للاستراتيجيات الأمنية أو العسكرية ، أو أن يميل إلى التخصصات العملية ، كأن يكون إغاثياً ، أو يطلب إتقان العمل المهني الجماهيري ، أو خبرة تكنولوجية متقدمة ، **وبذلك تكون الأُسرة هي المحضن الأولي الابتدائي لنمو التخصصات** ، ويكون العضو مرجع الأسرة في ذلك ، وأحد مراجع المنطقة ، وسينشأ تكامل تلقائي بين أنواع التخصص تبعاً لنوع الرغبات الشخصية ، وبعد مدة نطلب من المتماثلين في المنطقة الواحدة أو المدينة كلها أن يجتمعوا لتكوين لجنة أو مجموعة لإتاحة حوار بينهم وتبادل للخبرة والوثائق والمصادر ، وبذلك تنشأ عشرات اللجان في المحافظة ومئات في القطر ربما ، فنعقد لكل صنف منهم مؤتمراً سنوياً ، ويكون من ذلك **ردفٌ حقيقي للعمل التخصصي المركزي في الجماعة**، ونحوز عناصر تستطيع المحاضرة في المساجد ودور الجماعة عن العلوم والتخصصات التي التزمتها ، فينمو علم المتخصص أكثر ، ويكون له شغل شاغل وقضية وديدن ومحور تدور عليه تحركاته وتأملاته ، فإذا دبّرنا لكل صنف دورة للارتقاء بمستواهم : زادوا عمقاً

واستدركوا على النقص ، ثـم في مرحلـة لاحقـة نبعـث السياسـي والإغـائي إلى ساحة ساخنة ليزداد وعياً وانتفاعاً بتجربة حية ، والمتفقـه إلى القـيروان أو ديوبنـد الهندية ليشافه العلماء ، ونطلب من جميعهم السـفر علـى طريقـة جماعـة التبليـغ المتواضعة ، من نوم في مسـجد أو قناعـة بيسـير الطعـام ، لـئلا نرهـق ميزانيتنـا ، فيرجع الواحد متشبعاً بما رأى ، وتتجدد المعنويات ، ويزداد ثقة بنفسـه أنـه صـار مبعوث الجماعة وأحد سـفرائها إلى هـذه المجـامع والجامعـات ورجـال الأحـداث والسياسة ، ثم نقول للناجح أن يفطم نفسه ويبدأ تعلـيم الآخـرين ، وهكـذا تـتم عملية التربية التخطيطية ، وقد يصل البعض إلى مراحل متقدمة ، كإتاحة الفرصـة له أن يشارك ببرنامج تلفزيوني وندوة ، فيتربى أكثر ، بدافع الحرص علـى تجويـد كلامه وأن يأتي بما يثير إعجاب الدعاة والنـاس ورضـاهم عـن أقوالـه وتحليلاتـه واجتهاداته ، وأيضاً لأن من يحاوره صاحب علم وخبرة مثلـه ، وعليـه أن ينتصـر لقناعاته بالدليل والمنطق ولا يدع المقابل يغلبه ، وبذلك يستفز كل طاقتـه العقليـة للتفكير ، فيكون هذا الاستفزاز إذا تكرر هو العمل التربوي الذي يطوره وينفض عنه السذاجة نفضا ويكسبه تـوغلاً وعمقـا ، و علـم التخطـيط هـو أحـد هـذه التخصصات الـتي يمكـن أن نغرسـها منـذ مرحلـة مبكـرة لـدى بعـض الـدعاة ، وندعهم يمرون بهذه المراحل المتابعة التي توصل إلى نضـوج ومهـارة ، ويمكـن أن يُعان الذي يختـاره تخصصـاً لـه ، بتعليمـه علـم الإدارة ، وعلـم القيـادة ، وعلـم الإبداع ، عبر دورات أيضاً ، لأنها علوم مساندة وموازية لعلم التخطيط.

هذه بعض الطرائق التي تؤدي إلى نمو الكتلة التخطيطيـة في المحـيط الـدعوي، وبها تتحول المعاني التخطيطية إلى تربية سائرة حاضرة في نـوادي الـدعاة اليوميـة وبنمط تلقائي أقرب إلى العفوية ، وأما بقاء الخطة صـماء بـلا شـرح لهـا فنكبـة ، والأمر بتنفيذ الخطة دون تربية شموليـة تخطيطيـة تجعـل المعـاني المنهجيـة سـليقة سريعة الورود فمأساة ، والرصـد يـبين أن أكثـر تراجعاتنـا وأخطائنـا إنمـا يكـون بسبب ذلك □□□

□□ في تحليل الظاهرة التربوية في الحياة الإنسانية :

أن "المنظر" **"يُربّي أكثر من "القول"** ، ويـترك آثـاراً نفسـية عميقـة في المشـاهدين أو في الذين يُعانون ، وهم رجال المشهد والمنظر وميدان العمليات ، لأن التفاعـل مباشر . فيكون ضارباً في الدواخل .

وهذا المعنى أدركه الشاعر الجزائري الداعية الأستاذ محمد برّاح فقال :

"لا شيء أفصح من بلاغة جُرحنا" [(1)]

فمنطق المنظر المأساوي بخاصة : نافذ أشد النفوذ ، وهو أبين من تأويل عـائم ، ويمنع أن نثق بوعد مُخادع يؤذينا ويُسرع إلى كلام مجاني يزعم فيه الإخـاء ولـزوم التعايش ، بل جُرحنـا الغـائر ، وأجسـادنا المثقوبـة ، ورؤوسـنا المقطوعـة : أتـت بشروح يعجز عن مثلها الجاحظ والزمخشري لـو أرادا الوصـف الـدقيق ، وجـرح العراق أكثر نزيفاً من جُرح الجزائر ، فتماثلا في الفصاحة الصامتة التي تـترك أثـراً تربوياً من خلال شخوصها ظاهرة بين الناس.

● **ومن ظواهر الحياة : ازدحام مكوناتها ودقائقها ، وتراكم الأجزاء ، وحشـد يتدافع بالمناكب في تنافس شديد ، ولذلك يحتاج أحـداً يُرتبـه ويُعيـد لـه النظـام ، وهي مهمة الـمُصلحين والقادة** ، وذلك هو الذي لفت نظر محمد برّاح في الجزائر من سيرة النحناح فقال في رثائه :

"هذا الذي هذّب الدنيا ورَتّبها !!" [(2)].

---

(1) ديوان نسائم الفجر الصادق / 10

(2) ديوان نسائم الفجر الصادق / 6

ولا يكون من شرط عمل القائد في ذلك الاستيفاء ، لكنه يضرب المثال ويضع الهندسة والتصاميم ، ليقتفي المستوعب الذي يؤذن له أن يفهم القصة .

● **ويزداد تأثير هذا القيادي الذي يُعيد ترتيب البيت إذا كان رجل تربية يجيد صنعة الرفق ، فإن الرجل التربوي له حنان ، ويُعلم الناس التفاؤل ، ويَصدق** عليه ما وصف به محمد برّاح شيخه النحناح من أنه قد **حوّل الآهات الحاناً** ، لأنه رَصد في يومياته كيف أن رهطاً من شباب الجزائر جريحاً حزيناً أصابته الدهشة :

فضمّه الشيخ والأنات صاعدة حتى استحال بلمس الشيخ فرحانا [1]

فطفق الرهط يعمل بجد ، ويستدرك ، وانتقل إلى سمت الإيجاب بعد إذ طرقته وساوس السلبية ، وكادت تتلفه نزوة الثأر وردّ العنف بالعنف.

● والقيادي المقتدر ، والصاعد الجسور ، والتربوي المبدع : من شأنهم تأسيس الثقة ، وبثّ التفاؤل ، ليكون الإقدام والاقتحام ، وهو الذي أدركه محمد برّاح من صنعة محفوظ عندما سادت الأحزان ، فقال في رثائه مفتقداً المؤجّجَ السائق نحو الطموح :

من سوف يقدر ملء الفجر بعدكمُ بالأمنيات إذا ما احتلّنا الضجرُ ؟ [2]

وذلك هو وجل الصدمة الأولى ، فإنه ذهل عن عمق المنهجية التربوية التطويرية الدعوية التي التزمها ، فأتاحت مضاعفة الشعور بالمسؤولية لدى الوارث ، فأشاع البسمات ، رغم الصدمات ، وذلك هو الشأن المنهجي عند كل محنة ، يريدها المنافس أن تكبتنا ، فتتحول عندنا إلى منحة.

● وكل جديد لم يتدرب على تداول مثله الدعاة : يوشك أن يقترن بخطأ ومحاولات فاشلة ، وتلك ظاهرة عامة في حياة أجيال المسلمين المعاصرة حين

---

(1) ديوان نسائم الفجر الصادق / 37

(2) ديوان نسائم الفجر الصادق / 4

مارست السياسة ، أنها أتلفها الرهق والتجريب والسير غير المنهجي ، وأجمل الشاعر محمد برّاح وصف أحوالها فقال :

إن الجماهير في إبحارها تعبت تحتاج في لُجج الأمواج ربّانا (1)

فالمتاهة ولّدت المتاعب ، ولن تكون راحة إلا من خلال **تصوّر واحد** :

أن يتولى القيادة السياسية إسلاميون فقهاء زُهّاد وعاة يُريدون وجه الله .

وهذا هو الذي جعل **الوعي الدعوي** يُشير بوضوح إلى أن الحل الرئيس لمشكلة العالم الإسلامي بصورة عامة إنما يكمن في **نزول قيادات ماهرة إلى الميدان، تُربي مَن حولها وتدرّب جيلاً من القيادات الوسيطة الثانوية التي تساعدها وتحمل معها الأثقال** وتتوزع المهام والواجبات ، وتعمل تحت ظلال فكر قيادي متناسق ، وفكر سياسي متجانس ، فتنشأ **كتلة** قيادية جماعية توفر الأمل بحصول استقرار وإنجاح خطة تنموية شاملة للبلد ، بل وبدء جولة جديدة للحضارة الإسلامية الإيمانية بعد إذ أنهكت الحضارات المادية الحياة الإنسانية.

● ويتقوى الأمل بإمكان حصول هذا الطموح في أرض الواقع : أن هناك من **أبناء الجيل الدعوي الصاعد الجديد من انفعل بالقضية الإسلامية ، والممتحن بالجروح والأزمات أنواعاً من الإلهام ، حتى أصبح الآن جاهزاً لتوفير الإسناد القيادي التخصصي للخطط القيادية إذا مسحت على رأسه يد التدريب الإداري والإبداعي** .

وهو جيل رأى محمد برّاح جمهرته تملأ الساحة فأجاد وصفه :

○ أشبالنا كبُروا .. ويكبر شوكنا ..

من كان يحبو .. صار لا يهوى الرقود ..

إنا عرفنا كيف نُبدع ..

كيف نصنعُ من جماجمنا الصعود ..

---

(1) ديوان نسائم الفجر الصادق / 41

برجالنا .. بنسائنا ...

: يمضي الشهيد مع الشهيد ...

عفنا المنابر والوفود ..

فاحذروا ..

أن تُغضبوا فينا الجراح .. ![1]

فالجراح علّمته وجوب ولوج طريق الإبداع والصعود ، ولا يُريد أن يُغضبه جهول ، وإنما يُريد أن يحوز التربية التخصصية ليكون إيجابياً ويشرع في البناء ..

● **وهكذا فإن هذه المعاناة** ، التي تتعامل مع دماء وأجساد معذبة ، وقتل ذريع يومي : كما أنها وصف محشور بالسوء ورديء المعاني والحقائق : فإنها أيضاً **هي "الخلفية" التي تسند التطور الشخصي للداعية ، والتطور الجماعي ، لأن الألم يعصر القلب فيحركه** نحو طلب الأمن والهدوء ، ويحفز العقل للتفتيش عن مخرج وحل ، ويؤدي ذلك إلى حوار مسترسل بين الأصحاب ، وتفتيش عن منطقٍ ودقة وصفٍ وأسباب تعليل ، وكل ذلك نضوج ، **لكنه يحتاج ثمناً من الحُرقة واللذعات والصبر المر ، بيد أنه في النهاية يتحول إلى وعي وقناعات وتراكمات من الأجزاء التخطيطية** التي قد يستوعبها عنصر آخر فيما بعد هو أذكى وأكثر دربة ، **فيرتبها في منظومة وأنساقٍ نظريةٍ تُشكّل منهجية عمل** وتحرك لجيل كامل ذي امتداد عريض ، ويكون شاهداً ومثالاً واضحاً لكيفية ولادة المعاني ورسوخ جذورها ونموها **وتحولها إلى فكر قيادي** ، وهذا الذي يحدث اليوم في العراق من خلال محنة "التنافس" بعد الغزو الأميركي ، مع وصف إيجابي آخر زائد على هذا المقدار ، يتجلى في **أن "التنافس" الذي تمارسه العناصر الدعوية يحصل بموازاة أحاسيس جهادية عالية** وشعور إباء وعزة ومكارم تمنحها الانتصارات على أقوى جيوش العالم ، ومناظر سقوط جنود المارينز قتلى في الطرقات ، أو احتراقهم في

---

(1) ديوان ملاحم من شموع القدس / 32

سيارات الهامفي ، وهذا الإثخان يرفع وتيرة المعنويات لمتداولي الفكر القيادي ، فيتضاعف التأثر ، ويتسارع النضوج ، وتطوى الأرض ويطوى الزمن للصاعدين الذين تدفعهم محركات التنافس.

□ الصاعد يُربي نفسَه إذا أومأنا له .. !

● **لكن هذه المنحة القدرية الإيجابية التي تولد من رحم المعاناة والألم ليست هي إلا البداية** والأرضية اللازمة للبذر والإنماء ، ولا يمكن أن يزعم أحد أن فيها الكفاية ، ولابد من ممارسة تطوير متعمد للعناصر وفق منهجية متكاملة تعتني برواية كل التجريب الناجح ليُقتدى به ، والتجريب الفاشل لقطع استرساله ، واستخدام العلوم الإدارية ووسائل صناعة الرؤى الإستراتيجية ، ثم انتظار الزمن لإنضاج المتدربين ، ولا يكون ذلك من خلال تربية تلقينية فقط ، بل من خلالها وعبر حلقات متواصلة من الحوار **الحر الذي يُثير كوامن العقول** وعلى سُنة الصراحة **والنقد الإيجابي البناء الذي لا يتحرج من تسمية الخطأ بأنه "خطأ"** ولا يجد ضرورة لاستعمال لغة دبلوماسية في ذلك ، ولكن مع الأدب والاحترام ، وبلا تجريح واتهام ، ولعل عشر جلسات من الحوار الأصولي تستغرق الواحدة ثلاث ساعات : أبعد أثراً في التربية والإنضاج من خمسين محاضرة تلقينية يبقى فيها المتدرب صامتاً كأنه خزان يتم ملؤه.

● ومن الأهمية بمكان للقادة وأئمة التدريب أن يُدركوا أن عملية التوعية والإعداد للجمهرة الذكية المختارة لا ننتظرها فقط من محاضرة وحوار ورواية أسرار ، وإنما ذلك شطر منها ، **والشطر الآخر المكافئ إنما ننتظره من المتدرب نفسه ومحاولاته الذاتية ، ونقطة البداية في تحفيز استعداداته هو "التكليف"** . بأن يُقال له بأنه مُرشح لأن يكون إعلامياً أو تربوياً أو سياسياً أو إدارياً أو مُخططاً ، وبذلك نكون قد أطلقنا زناد تفجير الطاقة الكامنة فيه ، مع مراعاة رغبته وميوله الخاصة ، **فيبدأ يُفكر ، وتصير له قضية ، ويُصبح مُرتبطاً بمحور** تدور حوله

رغباته وأحلامه وتطلعاته ، وتتبدل نفسه ويُصبح توّاقاً راغباً في التطور ، مهتماً بالإنتاج ، **وتتحقق في داخله نقلة ملموسة أساسها نفسي معنوي ودربها عقلي فكري** ، فيمر بمرحلة اصطياد الخواطر ، كأنه حفيد لابن الجوزي ، ويحرص على استلال كل خبر يقرؤه في جريدة أو مجلة يتعلق باختصاصه ، حتى يتجمع له أرشيف مُصغر ، ويطفق يهتم بالبرامج الجادة في الفضائيات ، ويرصد مالاً لشراء الكتب التخصصية ، ويستعير المراجع ، **وأهم من ذلك في الحياة المتطورة المعاصرة أنه يشرع في رصد مواقع الانترنيت** ، ويتقاسم مع أقرانه المماثلين له في تخصصه واجب الإطلاع عليها ، وقد أخبرني الثقة بأنه وجد أكثر من عشرة آلاف موقع باللغة الإنكليزية لعلم الإدارة والتخطيط الاستراتيجي والمرحلي ، وهذا رقم يشير إلى مثله في السياسة والاقتصاد وفروع التخصص الأخرى ، **فلو أن مركز التدريب استحسن أفضل مائة موقع منها ووزع على كل متدرب واجب المتابعة لواحد منها أو اثنين** ، مع ترتيب وسيلة لتبادل الجديد المعثور عليه من كل متابع لأصحابه : فإن المحصول العلمي في الباب المرصود يكون ضخماً جداً ومتجدداً بحيث يرتفع مستوى الجميع ، ولو أن المركز التدريبي ألزم كل متدرب بموضوع جزئي داخل التخصص العام يكتب فيه تقريراً أساسياً ويظل يطوره ويضيف إليه كل شهر من خلال حصيلة المتابعة : **فإن مجموعة كبيرة من التقارير ستنضج في آن واحد ، بعد سنة أو سنتين ، واجتماعها تتكون به موسوعة كاملة في كل تخصص تكون هي أساس التفقيه للجيل الثاني اللاحق** ، وبعد عدة سنوات يتم **إنجاز عدة موسوعات متكاملة** ، مع خوارط وجداول وإحصاء ولوحات عرض تعليمية تفهيمية يمكن استخدامها من قبل عدد من المحاضرين لإشاعة حقائق تخصص معيّن بين جميع الدعاة والداعيات ، **فينتج من ذلك وعي مُكثّف وتنتقل قضية التخصص من كونها قضية رهط صغير نذر نفسه للمتابعة والاجتهاد والاستنباط إلى قضية جمهور إسلامي واسع العدد يستوعب الدروس ، فتكون نقلة إستراتيجية ترجيحية في ميدان تطوير التنافسية الشاملة ، وكل ذلك**

من بركات "النصف الذاتي الشخصي" من برامج التطوير، ويكون "التراكم الإنتاجي" بالغ الأثر عند حصول التقادم.

▫ المُحفّزات البيئية أُستاذ ثانٍ .. !

● لكن الحفاظ على "البيئة" هو ركن ضمان هذا التأثير، وأهم معاني البيئة هنا: انطلاق العملية التطويرية من "مؤسسة" تكون مثابة دائمة تتيح التعامل مع "منهج" لا مع أستاذ وشيخ فقط، وهذه المؤسسية ضرورية لبذر معنى وجود حصة لكل منتسب في الملك، وسهم وشراكة، وعبر هذا الشعور يتضاعف الحرص بدافع التوافق مع الفطرة، ثم وجود الأقران المتماثلين هو المدلول الثاني للبيئة، وبه يكون تنافس في الخير، وشبه رياء هو إلى الحلال أقرب وإلى الإباحة أنسب، أشار إلى مثله الغزالي في إحياء علوم الدين وجعله من أسباب عمران العلوم، وبين الأقران يرتفع التكلّف، وتشتغل السجية وتؤدي دوراً إيجابياً في تبادل الرأي وتحديات الجدل المنطقي أثناء المساجلات التي ينتصر خلالها كل مشارك لرأيه ويحاول إثبات صوابه عبر أسباب وذكر تجارب وتذكير بتاريخ فيه شواهد، ولعل توفر المكتبة والمراجع والأرشيف وبنك المعلومات وأجهزة الكمبيوتر والعَرض والتسهيلات المختبرية والهندسية تُشكل جانباً مهماً في تكميل معنى البيئة الملائمة المعينة على التطور، وليس آخر معانيها: توفر جانب الجمال والخضرة والمقاييس المعمارية ووسائل الراحة من تبريد وتدفئة وجلوس مُريح، ولما وفد الشاعر البدوي علي بن الجهم على الخليفة المأمون وشرع يمدحه: بدأ قصيدته بقوله "خليفة كالكلب في الوفاء"، فثار عليه الحاجب والوزير والخدم يسكتونه، وذهلوا عن أنه بدوي، هذا مدى تشبيهاته التي توجهها انطباعاته البيئية، فسارع المأمون إلى زجرهم، وقال: بل اسكنوه جانب القصر الخلافي على دجلة شهراً ثم اجلبوه وليعرض بضاعته، فرجع إليه بعد شهر بتغزل ويقول في ديباجة قصيدته:

عيون المها بين الرُصافة والجسرِ   سَلَبْنَ الهوى من حيث ندري ولا ندري

فأذعن الجميع لإبداعه ، وايقنوا أن " البيئة " لها أثر ومقال وحق وقيادة للعاطفة والعقل معاً ، وهي مصفاة لغوية للشاعر والناثر ، بل هي مختبر جمالي يمنح أعذب الأساليب وأرق الألفاظ ، وكذلك البيئة تكون في عالم التدريب والتطوير ، تضرب عمقاً فتحول الفوضوي إلى منهجي ، واليابس إلى طري ، والجافي إلى ذوقي ، واللجوج إلى دبلوماسي ، وتفتل أذن القاسي حتى تعيده إلى الرفق ولين الجانب ، وكل ذلك من فن التربية ومنحة المحيط القياسي الموافق للمواصفات ، حتى أني تكلمت يوماً فذكرت أن الدراسات المعمارية والطبية توصي بأن يكون ارتفاع المنضدة ستاً وسبعين سنتيمتراً ، ليلائم معدل حجم الإنسان العادي وطوله : تعجّب الحاضرون ، إذ تلك حقيقة هندسية عالمية ، ولكن الشعوب في البلدان المتخلفة تجهل مثل ذلك ، بسبب نقص المنهجية ، وهو السبب الذي جعل الأستاذ التلمساني - رحمه الله - حريصاً على أن يُقلد دحية الكلبي الذي تمثّل جبريل - عليه السلام - في صورته ، فكان الأستاذ يخرج علينا في أجمل الثياب ، ويُعلّق على صدره وردة حمراء .

▫ المنظومات التدريبية توجّه الأداء الذاتي

● وهذا النمط من الإدراك لهذه المعطيات الإيجابية في المساعي التخصصية يوجب على مجموع الدعاة عملاً استدراكياً يُعوض عن تقصيرنا فيها خلال المرحلة الماضية ، أو حرماننا منها بسبب الظروف الصعبة والظلم والمنع الاستبدادي من حاكم أو حزب مسيطر أسندت له الدوائر العالمية المرتبط بها مهمة تجهيل الشعب وإبعاده عن كل وسيلة تنموية ، ولابد أن نتحدى المصاعب ونجالد ، على قاعدة : سدّد وقارب ، والدعوة الإسلامية المعاصرة بحاجة إلى إثراء في الرؤى ، وتوسيع مواردها وتنويع أساليبها ووسائلها ، وإسناد هذه المهمة إلى مراكز بحثية تصف الواقع وتحصي ، وتطلع على آخر الفنون في التخطيط ،

وتحاول الاقتباس والتطبيق ، مع اعتبار الخصوصية الإيمانية الشرعية ، ثم الانتقال إلى التدريب من خلال مؤسسات محلية تتبادل الخبرة والمدربين مع مؤسسات مثيلة عديدة في الخارج ، وربما مع أخرى غربية وشرقية ، ثم إدامة التواصل مع المتخرجين من خلال دورات تنشيطية، ومجلة ، وتقارير ، وسلسلة كتب تخصصية، وترجمات ، وندوات ، والتعامل معهم كأساتذة في موضوع جزئي محدود أو أكثر يلقون فيه محاضرات لجيل لاحق ، وإذا أضيفت إلى كل ذلك متابعة وتقويم للأداء واختبارات استيعاب وجلسات تشاورية لبحث مواضيع مهمة وإصدار توصيات بعدها : فإن وتيرة الجد ربما تستمر ، ويكون المختص أحد " الأمناء " الذين يكفلون حياة موضوع تخصصه ، وحضور معناه عند الشدائد والمنعطفات ، ويتوفر ضمان مراعاة مذاهبه عند البحث ، والله الضامن ، وتحصل حالة " بِشارة ونِذارة " تصدع بمدلولاته ، وكأنها جزء من التعبد بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، الذي هو شأن المؤمنين .

● والمظنون الذي يترجح بالدلائل والقرائن والتجربة : أن كل الشباب الإسلامي الموقن بالمفهوم الدعوي : يصلح أن يُرشَّح لهذه الخدمة التخصصية والمراتب القيادية إذا كان عنصر الذكاء متوفراً ، مع قوة الشخصية ، وبخاصة عندما يكون هناك " إمهال " وترك فرصة للتدرب ونمو الأحاسيس الذاتية ، ومن الخطأ التكليف الفوري لمخلص يسترسل مع عفويته الموروثة وغفلته التي تفرضها عليه آلام المرحلة ، ولكن يكون " الانتقاء " و " اكتشاف العناصر الصالحة " ، ويكون تكليفها وتفجير زناد الشعور بالمسؤولية فيها ، ويتم تلقينها ، وتدريبها ، وتحسين بيئتها ، مع فتح مجال الاستفادة من المعطيات المتاحة ، وإنضاج عقولها بالحوار ، ثم التدرج في إسناد المهمات لها ، والعفو عن الخطأ الذي تجنح إليه وهدره ، بتأويل قاعدة تعلم الصواب من الخطأ ، وقد يُسند الفقير بكمبيوتر ، ومجموعة كتب ، وبمواصلات مجانية توفر عليه عناء انتظار وسائل النقل العامة ، وربما يكون توظيفه وتفريغه ، وإتاحة مجال تحصيل الماجستير والدكتوراه له في

الجامعات المحلية والخارجية في موضوع تخصصه نفسه ، وتوفير فرصة زيارته لبلاد أخرى ليقتبس من أساتذتها ويكتال من عطاء مؤسساتها ، وقد نتعمد طبع رسالة له يُبشر خلالها برؤاه وأمنياته ، لتكون محور أحاديثه ، أو نمنحه فرصة المشاركة في حلقة تلفزيونية ، ليشتهر ، فتُلزمه شهرته بالتعلم الزائد وتجميل أفكاره وتجديدها، استثماراً لأحوال الفطرة التي ترغم صاحبها على أن يربأ بنفسه عن الظهور بمظهر الرجعي المتخلف العتيق الثقافة والأفكار الذي تجاوزه الزمن ، وكل ذلك إذا شاء الله ممكن ، **والثقة بالعناصر الصاعدة أصل في الخطة التطويرية ، وإذا نجحنا في توسيع "الكتلة الدعوية التخصصية" واستطعنا ترسيخ معادنها ومضاعفة ثقلها النوعي ومجال أدائها الحيوي : فإننا نكون قد كسبنا نصف معركة المصارعة مع التحديات ونحن جلوس بعد لم نَقُم ولم نلبس الدرع ، ورُبَّ فرصة تلمحها عُصبة تتحاور فتدعونا إلى حُسن استقبالها ، فيتولد تفوق حاسم ، ثم رُبَّ خطر خفي زاحف تحت ستار يكون التحذير منه فتكون العصمة من دهشة وحيرة والنجاة من تلاوم بين الدعاة يكسر النفوس ويُولِّد الإحباط** ، وعُرف الناس أن يكون اجتياز الصحراء بدليل يعرف الكثبان والآكام ، ويمهر في اقتفاء الأثر ، وأن تمخر سفنهم البحار بربّان له بوصلة ، وملاح له إلى نجوم السماء نظر ، ويفوز باللذة الجسور المتقن لفنون النزال والتملص والتمويه والتفلّت ، ويرجع صفر اليدين الهيّاب المتلفّت .

● **ولكن مما يبعث شعور الاطمئنان إلى المستقبل ويجعله واعداً : شيوع تيار التدريب الإداري والإبداعي في أقطار كثيرة ، وظهور أئمة فيه هم إلى النضوج والكفاية أقرب ، واكتشافنا أننا أغنياء في الرجال ، الذين يمكن أن يضعهم القادة عن أيمانهم ، وأن يصولوا بهم ويجولوا** ، وتمام النجاح يكون في توسيع نطاق هذا الانتشار ، وفي تبادل الخبرات ، وتقاسم الأدوار ، ثم في الإلحاح في طلب العمق النوعي والجزالة الموضوعية والمكنة العلمية والعملية ، لأن العلم ثقيل ، ونحن معادن ، ولن يرضينا أن يكون أحدنا فضة ، فإن الذهب أفضل ، وإلكتروناته

ضِعْف الكتروناتها ، ثم أقدر منه اليورانيوم ، فإنه مُشع ، **والدعوة إشعاع في أصل مهمتها** ، وإنه متفجر ، وتكاثف طبقات الران على القلوب والظلم على الشعوب لا يبددهما غير عمل تفجيري للمعاني يخرج عن الرتابة والدغدغة ومشية الاستحياء والخفر الأنثوي ، ويدنو إلى أقرب من شبرين من الصراحة.

● ويتضاعف إيجابنا وخيرنا عندما **نعلم أن الأحزاب المنافسة تورطت في** سلبية " **الدمويات** " **وجهلت التاريخ** ، وكانت قد بذلت كثيراً ، وقدّمت التضحيات ، وتحالفت مع العولمة ، وتم تقديم " التمكين " لها على طبق من لؤلؤ ، **وكان من الممكن أن تحبّب نفسها للناس ، وتتزين ، وتؤسس لها قبولاً** عند أهل العراق وعموم أمة الإسلام من خلال خطة ذكية يكون فيها تدليس وستر لنواياها الخفية ، **ولكنّ الله أبى ، وجعل العناصر الغوغائية الجاهلة تستبد داخل كل حزب منها بأموره ، وتم عزل القياديين المؤهلين للممارسة السياسية الذكية** ، واستطاع الفوضويون التحكم ، العراة عن علم التخطيط والرؤى الإستراتيجية ، فتشوهت الصورة ، **وتم تقديم نموذج لحكم إرهابي يتوجس الناس منه خيفة ، وساعدت القنوات الفضائية المحلية الحزبية على تقديم صورة مثيلة شوهاء** ، إذ ذاك مبلغ علمها ، والإناء ينضح بما فيه ، فتراجع الرصيد العالمي لهذه الأحزاب ، **مما يجعل امتيازنا نحن بالإيجابيات والعمل المنهجي مضاعف الأثر بإذن الله** .

● **وعلى كلٍ** : فإن هذه المقالة أرادت منع الدعاة أن يستهلكوا أنفسهم في أحزان تولدها الدماء والقتول المستحرّة ، والعدول عن ذلك إلى توظيف المحنة إيجابياً لتحصيل نقلة تطويرية تدرأ محناً مستقبلية مثيلة ، مع إعلان الثقة بجيل الشباب الجديد الصاعد ، وأنه مؤهل لكي يقود إذا بذلنا له التدريب ، وخير هذا التدريب أن يكون مؤسسياً ، وأن نصنع له بيئة مُساعدة ، ومِنى لمن سَبق ، وإن لم يكن منك اقتداء بجدك السبعين حين كان يقف بسوق عكاظ خطيباً : فليس أقل من أن تكون مستمعاً عالي الذوق □□□

3 خصوصيات التخطيط الدعوي

□□ أرأيتَ البراري الفسيحة حين تـمتد بالخضـرة وتنـتشر فيهـا الأزهـار ، وثـمّ نـُهيـر ، وغدير ، وتلال ، من ورائـها غابة ، فيها غزلان وطير طروب ! !

فإذا حَبسَ انطوائي نفسه في غرفته ، واكتفى بنظر إلى هـذا المنظـر البـديع مـن نافذة صغيرة ، ولم يتجـول ، ولم يسـتمتع بقـرب ومُناغـاة واسـتلقاء في الظـلال : أيكون أحدٌ أيبس منه وأعجز ؟

فكذلك شأن الـمُخطِّط هو : يـنبـغي عليـه أن يـَفطن إلى أن " الواقعيـة " الـتي وصفها له أئمة التخطيط لا تعني أن يحبس نفسَه ، بـل الفكـر يـمتد لـه يغريـه ، والتنويع كامن له ينـتظره ، لكن على مسافة مـن بـاب داره ، ثـمّ خلـف التـل ، ولابد له من التفاف ، فإن أبى إلا أن يصف ذلك بأنه مُغامرة : فلـتكن المغـامرة ، **فإنه لن يُبدعَ محجـوبٌ وقـانع وهيّاب ومتـوجس ، وإنما هـو الجسـور الفـائز** ، والحركة بَركة ، والريادة سبب سبق .

وهذه بإيجاز هي قصـة مدرسـتين في التخطـيط ، ومـذهبين ، ونمطـين : طـريٌ وجاف ، وراسخ وطارئ ، وماضٍ وامضٍ نابض ، يقتحم ويوغل ، وآخر يكتفـي بصيد العجاف .

□ يجمح ... ليجمع

واصل ذلك : وفور " الطموح " أو ضموره ، وصنعة " الخيال الحر " آلـة أساسـية في ذلك ، فإن فيها تكـثير الصـور ، وتنويـع الاحتمـالات ، وتوليـد المكمـلات ، وتجديد العوامل ، وابتداع ما يناسب المتغيرات ، وإثراء الخيارات ، **ونفض " الرأي " نفضاً ، وتمحيصه من خلال وضعه بين ضغطين :**

إغراء القبول وعبوس الرفض ، وشروط الإمرار ومرارة الانـتـقاد .

وهذا يدعونا إلى أن نـخـتار سعة "الخيال" صـفة للداعيـة النـاجح إذا رشـحناه لمرتبة متقدمة ، لأن المراتب العاليـة تسـتدعي نـوع ممارسـة منهجيـة ، والتزامـات تخطيطية ، إن لم يكن هو الواضـع الراسـم لهـا : فإنـه يكـون مشـاركاً في تقويمهـا ونقدها ، فإن اعتبر رجعيٌ ذلك جموحاً وخروجاً على الشيوخ والأساتذة : قلنـا : هو جموح الإبداع ، وطريقته المثلى .

□ نوابغ الرجال .. على خيول الخيال

وهذه الصنعة الخيالية الريادية صنعة امتيازية في عُرف شاعر العـراق الكـبير في القرن التاسع عشر عبد الباقي العمـري ، وجعلـها علامـة تفـوق وسـبق وإبـداع للعلامة طه أفندي السنوي المتوفى سنة 1883م فقال يمدحه :

خيـالُه يمتطي خيولاً	في البحث لا ينتهي مَداها
ما سابقتَها السُراة إلا	عن شوطه قصُرت خُطاها [1]

فلأنه أديب شاعر يتعاطى الرمز والفكر والعلو عن الواقع والتحـرر مـن أسْـرِ التحديد وصـرامة القيـاس الـدقيق ويبوسـة الأرقـام والأبعـاد وأوصـاف الرؤيـة العيانية : ركض مع الخيال ، واستحسن ما في البحث الجريء من اقتحام سـريع ، ودخول على المجهول ، وفتح المغاليق ، وهدم الحـواجز ، ومـا في ثنايـا ذلـك مـن فضول وتساؤل واستقصاء ، وتقليب وجوه الأمر ، وتجاوز الظاهر ، وأن يشـرئب العقل إلى اختراق المجهول ، وأن تـثني النفس عليه فتذهب مذهبه الطامح ، بحيث لا تقنع ، وتفتـأ تسـتزيد وتـنهل وتجمـع وتطمـع ، في نَـــهم لا يسـتأذن ، وبـلا إنصات لعاذل متوجس يشترط الضمان ، فيشبر شبرين ويجعلهما مساحته وحلبته التي يدور فيها على طريقة التكرار والسرد العائد دوماً إلى بدء يشعر عنده بالأمان من المخاطرة ، فهو بعيد عن آخر لزم التوغـل المسـتقيم فجـاوز بـه إلى الأقاصـي وبِـكْر الرؤى وطريف الفكر ، وله في كل يومٍ جديدٌ لذيذ .

---

(1) العقد اللامع لعبد الحميد عبادة / 271

▢ التعامل مع الخيال الجمالي .. حركة حيوية

وكعب بن زهير بن أبي سلمى ﷺ ، صاحب "سُعاد" : واحد من الذين عرفوا قيمة "الخيال" الغالية فقال :

أنّى ألَمَّ بكَ الخَيالُ يطيفُ ومَطافُه لك ذُكْرةٌ وشُغُوفُ[1]

والشُعوف : الولوع بالشيء حتى لا يعدل عنه ..

والذكرة : التذكر وعدم النسيان .

ولربما قال هذا الشعر وفي ذهنه خيال سعاد أو حسناء يحبها ، ولكن المعنى يصلح كشاهد على آثار الحركة الحيوية التي يسبّبها الخيال ، لأنه إنما جعله رمزاً للجمال حُراً مُطلقاً طالما لم ينسبه لامرأة مُعيّنة ، **ومن هذه الرمزية السارحة يبدأ النبض فيتوالى فيكثف فيتكتّل فيصير سلوكاً في عالم الواقع أو معنى مميّزاً في عالم الأفكار ، وإذا تعلّم الخيالي مداراة القلب على هذه الطريقة ، وكرّر غزواته الوجدانية : أوشك أن يحوز دُربة تؤسس عنده صنعةً خاصة تصيد العواطف وتكثفها وتدفعها لإحداث جزء من هزة ، ورَبْتَة ، تتطور بالإعادة فتكون حركة من حركات الحياة كان أصلها الخيال الجمالي .**

● والمادي يحسب ذلك مجازاً بحتاً ، ومثالية رمزية غرقت في الإفراط والمبالغة ، **ولكن القصص الدعوية في كل قطر مليئة بأخبار دعاة من "عُشّاق الدعوة" ذابت شخصياتهم وطموحاتهم وآمالهم وأهدافهم الذاتية في الوجود الدعوي ، وامتزجوا به ، واستقلوا عن كيانهم القديم الأول، وأصبحت "الدعوة الإسلامية" هي معشوقتهم التي يطيف خيالها بهم آناء الليل والنهار ، ومع كل حركة وسكنة،** فهؤلاء هم الذين يؤهلهم القَدَر الرباني الخيري لاستثمار مُكنة "الخيال" في تجميع وتنظيم وتربية الرجال ، **وهم الذين تلمع لهم الومضة ، فتتحول بالتأمل والتعامل الرقيق الحكيم إلى فكرة نامية ، ثم إلى جزء من خُطة واعية .**

---

(1) لسان العرب 1 / 1071

فالتذكّر ، واستحضار خيال الجميلة المعشوقة : يؤثر في النفس تأثيراً إيجابياً ، بما يهيج من كوامن الطاقات ، فتهتز بعد سكون ، وتغلي بعد برود ، وهذا **الاهتـزاز والغليان شرطان لتفجّر الإبداع** ، ومثل هذه التجربة تـتكرر لكـل عـاطفي ذكـي الفؤاد والعقل ، وهي الحالة التي استولت على الشاعر المرهف الحسّ فقال :

خيالٌ هاجَ لي شَجَنا
فبتُّ مُكـابِـداً حَزَناً
عميدَ القلبِ مُرْتَهنا
بذكرِ اللهو والطرب (1)

وهذا هو الذي يحصل للدعاة الذين هم في الطبقات العاليـة الأولى والثانيـة والثالثة من البناء الدعوي ، من رجال القيـادة ، والقيـادات الوسـيطة ، وقـدوات التربية ، ومفاصل الخبرة ، ورؤساء المؤسسات ، وأئمـة الفكـر ، وأهـل الفتـوى ، وعلماء التنمية ، وألسنة الإعلام ، وأبطال الجهاد ، ورُعاة المال ، ومثلهم ، بل من أمثلهم : المخططون ، وأصحاب هندسة التقدم المرحلي ، **فإنّ طَرَبَ هؤلاء جميعـاً هو في "الشأن الدعوي" ، وهو عندهم واجب وهواية ، وعَقـدٌ وشـرط ، وفـرض ونافلة ، ولهو ولعب حلال** .

□ المخطط المؤمن ... فقيه نفسه

ففي ثنايا هذا الأداء المتجرد، الذي هو لون من ألوان العبودية لله رب العالمين: تـتراكم تأثيرات تربوية إيجابية كثيفة النوع ، وتدأب تـترسب بصورة ظاهرة ، ثـم تـتحول إلى قناعات في اللاشعور الكامن المستـتر ، في عملية مسـتمرة ، حتـى إذا طال الزمن وعركت الداعية أنواع التجارب : **صارت الكتلة الكامنة من الدروس المستفادة من التجريب كأنها مخزن إمداد للداعية تمده بالوصية التخطيطية الملائمـة**

(1) لسان العرب 2 / 202 .

لكل موقف يقفه وظرف يعيشه وضغط يتعرض له ، تنجده بسرعة ، وتؤشر له ، وتبين له التصرف اللائق .

وهكذا تكون الترسبات التجريبية مورداً تخطيطياً ثرياً في العمل الدعوي ، وهذه ملاحظة مهمة يحسن أن ينتبه لها فريق الدعاة الذي يخطط ، فإن العلم التخطيطي المودع في كتب علم التخطيط المعتمد في الحياة العامة وفي العالم ينبغي **أن نقتبس منه بنظرة نسبية تتيح مراعاة تجربتنا الذاتية ، وليس هو الاقتباس المطلق المفتوح** ، ولا ينبغي أن يسارع المخطط المسلم إلى اعتقاد صواب وصايا كتب التخطيط على طول الخط ، لمجرد مواطأة قول من يقول بوجوب الإذعان لما ينصح به علم التخطيط ، **فإن الدعاة شركاء في صناعة هذا العلم إذا عرفوا رصد مفاد تجاربهم وتجميعها وترتيبها** ، وليس صانع علم التخطيط هو الغربي فقط ، أو الياباني ، مثلاً ، **بل المنطق العقلاني هو الذي يوجّه عملية الاقتباس ، والكتلة التجريبية الذاتية** ، وإنما الموظف الحكومي هو الذي يُنصح بالتقيد بالوصايا التخطيطية العالمية ، لأنه لا هوية ذاتية له ، ولا فكر ، وإنما هو أجير فقط لا تربطه بمجموع العمل الحكومي أواصر عاطفية إلا ما ندر ، ويختلف في الرؤى والقناعات عن بقية رجال الفريق الذي يضمه ، فيلزم ضبطه بقواعد التخطيط العالمية ، وأما الدعاة فهم أصحاب قضية مشتركة ، وتطورت العاطفة عندهم إلى عقيدة ، ولهم امتداد تاريخي ومكاني ، فصارت الحصيلة الخاصة شطراً موازياً مساوياً لعلم التخطيط العام ، ولهم أن يرفلوا بمفاد المعاناة التي خضعوا لها ، فإنها يقين ، والوصايا العائمة في الكتب : ظنٌّ وتخمين .

وهذه الهمسات بهذا السر من أسرارنا :

تمثل الخصوصية الأولى ضمن خصوصيات التخطيط الدعوي .

□ الولاية للدعاة .. لا للأدعياء

● ونحـن نحـترم الحقيقـة التخطيطيـة ، ونـذعن للمرئـي في حيـاة الشـعوب والجماعات وحركات الجيوش والساسة من ضرورة السيطرة المنهجية على ساحة العمل ومعطياتها ، واعتماد خُطة واضحة الأركـان قبـل التقـدم ، ولكـنَّ الأثـر القيادي **عندنا نراه أنفذ من التخطيط وأبعد في التحكم والتغيير ، ويزداد هـامش هذا التأثير إذا اكتسبت القيادة شحنة عاطفية يراهـا التـابعون صـورة مـن الإلهـام والتوفيق الرباني الذي تحمله الملائكة لكل مؤمن يتفانى ويُخلص** من أجـل رفعـة أولياء الرحمن في الحياة الدنيا ، ويدعو لهم برِفعة أُخروية .

هذا النمط مبني على توازن الحساسية الـوافرة في الحيـاة الإيمانيـة مـع الحكـم الشرعي ، وأمـا في الحيـاة العامـة : فالعلاقـات أقـرب إلى الماديـة ، والصـرامة في الحسابات ، وهي تـتأثر بالنزوات والنزعات الخاصة ، وثوابتهـا ضـامرة نسـبة إلى متغيراتها الكثيرة ، ويمكن لذي اللباقة من القادة الـدنيويين أن يـوهم أتباعـه مـن خلال التصعيدات العاطفية التي لا تضبطها عقيدة وموازين فقهية ، فتكون طلاوة المنطق الظاهر كأنها صبغة خارجية تخفي ما في الداخل من غش واعوجاج ، وكـم من سياسي دجال وزعيم أناني صفّق لـه الغُـراةُ عـن الـوعي والإمّعـاتُ والزَبـد ورجال الشارع ومن يتعاطى النقـد والتقـويم أثنـاء لعبـه بـالنرْد ، ولـيس هـؤلاء بمقياسٍ ونموذج ، وليست عليهم العُمدة ، **وإنما التعويل على أهل العقل ، وعلـى مَن له كل يوم ساعات إيمانية تـتيح له التأمل الهادئ العميـق ، وعلاقـات جماعيـة تمنحه حواراً جاداً متواصلاً ، تردف الحلقة منـه سـابقتها ، وتنعطـف فيـه أواخـر الملاحظات على البدايات .**

فهذه هي الخصوصية الثانية في التخطيط الدعوي ، فنحن دعوة ، ولسنا شـركة ولا حكومة غربية تدور علاقاتها بالشعب حول المصـالح فقـط ، ولسـنا جيشـاً ، ولا وكالة إعلامية ، وإنما نحن جماعة مؤمنين ارتضوا مؤمناً منهم يجتهد وهم حوله

رقباء ومساعدون، ولذلك يكون الأداء القيادي أبعد أثراً من التخطيط في محيطنا، وليست هذه دعاية للزهد بالتخطيط ومنح القيادة أكثر من حقها ، ولكننا نتحدث عن ظاهرة في الحياة الدعوية ، تترجح فيها الإرادة القيادية على الالتزامات التخطيطية بشكل تلقائي غير متكلف ولا هو عمدي ، وإنما هي اللمعة الطارئة تجد لها أحياناً رواجاً وقبولاً أكثر من القياسات التخمينية الواردة في بدايات المرحلة .

□ بولد التخطيط في محضن الفكر العام

● وهذه التلقائية في منح القيادة نقطة امتياز على السلطة التخطيطية : هي جزء من "تلقائية" أوسع تظهر في المحيط الدعوي ، آيتها : تأثيرات "الوحدة الفكرية" في الجماعة الدعوية في إنضاج الفكر التخطيطي داخل الصفوف ، وفي أوساط الموالين والأنصار ، لأن الفكر الواحد أو التربية على فكر موحد : من شأنها تقريب القناعات ، وتحقيق تماثل في الرؤى ، والتدريب على تسيير المنطق والجدليات وعمليات التحليل والتسبيب في مسار واحد ، كلما فجّرت ذلك حادثة جديدة وقضية ذات شأن تضطر الدعاة إلى نقدها والتعقيب عليها واستلهام دروسها ، فمن خلال التكرار وفي امتداد الزمن : تنمو وبشكل مسترسل انسيابي انطباعات تخطيطية في دواخل الدعاة والمحيط الإسلامي العام تديرهم في المدار المفترَض أن يدوروا فيه لو كانت هناك خُطة تضبط إيقاع حركاتهم ، فهم يحتلون المدار أو قريباً منه قبل أن تأمرهم خطة بذلك ، والسبب يكمن في تعويضات تدريجية عنها أنشأتها المباحث الفكرية والتدريبات التحليلية العامرة في الحياة اليومية الدعوية من خلال المحاضرات ، ودروس المساجد ، والقول الإعلامي الإسلامي ، ونشر الكتب ، والتربية التلقينية ، والإشراف الميداني التخصصي ، والحوارات الحرة بين الأقران ، فكل ذلك يُشكل "عملية فكرية" ضخمة الحجم توفر فيما توفر : المغزى التخطيطي ومعانيه الجزئية

الكثيرة، والنمط المنهجي في استقبال المهمات ، وتزداد هذه الدربة على التعامل الصحيح بسبب كون الدعوة طرفاً سياسياً خارج الحكم ، فيحرص منافسها الذي في الحكم على أن يحصرها ويضعها في مأزق بعد مأزق ، ويجبهها بمفاجأة تلو أخرى ، فيها تضييق وكيد ، فتكون **ردودُ فعل دعوية متواصلة هي في الحقيقة تدريبات كاملة على "التحدي" و "التملص" و "التفلُّت" واستئناف المحاولة وإعادة التوازن وترميم البناء ، وكل ذلك من أصل العملية التخطيطية** ، بل ماذا بعدها من دلائل التخطيط ؟

والذي نود الإشارة إليه في هذا السياق : **أن** هذه القابلية في التأثير التلقائي للتداول الفكري في إرساء المقاصد التخطيطية في المسيرة الدعوية دونما تكلّف : إنما هي خصيصة دعوية لا يستطيع أن يصل إلى مثلها التخطيط الحكومي أو تخطيط الشركات والتكتلات البشرية الضخمة ، لضمور الجانب الفكري فيها وعمرانه لدينا .

وهذه الحقيقة بدورها تضيف سبباً منطقياً آخر إلى أسباب وجوب منح اهتمام مكثف للحوار الفكري في المجموعة الدعوية ، لما في ذلك من توليد فقه تخطيطي في ثنايا هذا الحوار ، وخلفية نفسية تزيد إيمان الدعاة بجدوى التخطيط ووفرة ثمرته ، وكما أن أي أمر مهم يكون الاحتفال به من خلال مقدمات وتمهيد ودعاية : **فإن الجهة التخطيطية في المجموعة الدعوية مكلفة بأن تدعو إلى تداول فكري عريض في المحيط الدعوي ، لما فيه من توليد للرؤى التخطيطية ، والتعامل مع الفكر الإسلامي كمقدمة ضرورية للتخطيط الإسلامي** ، وتستوي من هذه الحيثية الخصيصة الثالثة للتخطيط الدعوي .

◻ تسهيلات للنفوس الزكيّة

● وفي التخطيط الإسلامي خصيصة رابعة راجعة إلى مفاد الإيمان الذي نرفل في خيراته ، ووفرة البركة التي تأتي على غير قياس وحساب ، فتجعل الصعب

سهلاً ، والقليل كثيراً ، وتمنح هيبةً ، ولمعة إبداع ، وتحرس من شر ، وتدفع أقدار السوء ، وتضاعف الهمم والشجاعة، وتُذكّر عباد الله الصالحين ما ينساه غيرهم.

وهذه الخصيصة تستقل أحياناً ، فيكون أمرها من الوضوح بمكان ، وتلتحق بخصائص أخرى في آونةٍ ثانية ، لا لضمورها ، ولكن لأن المراقب يحتاج قرينة تدل عليها إذا شابت إيمانه غفلة ، فيلزمه قياس واستنتاج ، وحقيقة التأييد الرباني للمؤمنين لا يغيرها هذا التردد بين الظاهرية والتواري .

ومعنى ذلك أن التخطيط الإسلامي يستحضر "مجموعة قِيَم" عندما يُصدر اوامره ، على رأسها "التوكل" على رب عظيم قدير وَعَد وعداً حقاً أن يأذن بتمكين عباده تمكيناً كلياً أو جزئياً ، دُفعة أو على مراحل ، وأول ذلك : أن يأمر ملائكته أن ينادوا في الناس بُكرة وعشياً أنه أحبّ عبادَه هؤلاء النفر ، فأحبّوهم وأيدوهم وانصروهم ، فتتفتح قلوب كانت مُغلقة ، وتستعد لاستقبال ما يذهب إليه تخطيطنا في مفرداته الفكرية والإعلامية والتربوية ، وتجد أهدافنا السياسية ترحاباً وأصداء إيجابية ، وإن المؤمن الصادق ليتكلم بالكلمة من الحق فتبلغ الآفاق ، ويهدي الله بها أقواماً ، وكل هذا الفهم الغيبي مؤيَّد بنصوص صحيحة ، وهو جزء من العقيدة الإسلامية ، ولن يلغيه نكران ملحد ، ولا يقلل منه استحياء مؤمن يعيش بين ماديين يستغربون مذهبه فيبالغ في مداراتهم ويتوكل على الأسباب التخطيطية فقط ، كما يرويها علم التخطيط العالمي ، ولا يتوكل على خالق الأسباب .

▫ رأينا المتعتق ... نسبٌ للنابت العتيق

● ومن تخريج مقارب : تتولد خصيصة خامسة يظهر فيها جَذر قديم عتيق لكل اجتهاد حُر جديد ، ومرجع تأصيلي للرأي المتطور ، ومحور ضابط لدوران الوصايا والنصائح والحلول ، وذلك من خلال الالتزام بثوابت شرعية وموروثات عُرفية ساهمت في صياغاتها إجماعات أجيال المسلمين ، ويُنكر

تخطيطنا الإسلامي منطق التحرر المطلق والجري مع الانفتاح غير المحدود في طرائق التفكير والفهم ، مما دَرَج عليه أتباع الملل الأخرى اليوم من سعة التفلسف والبلوغ بالمذهب العقلي إلى أبعد مداه واتباع ما يُشير به التأمل المجرد .. والنكير على المسلم في هذا المجال يرجعنا إلى المربع الأول الذي فيه نقاش ظواهر الفرقان بين الكفر والإيمان ، وبدهيات الأديان ، وقضية الوحي الذي يتنزل على الأنبياء عليهم السلام ، والإلزامات الواقعة على من يؤمن بذلك ، من وجوب الإقرار وطاعة الله ورسوله ، فشان التخطيط الإسلامي داخل ضمن هذا النطاق ، وهو جزء منه ، والوسوسة التي تطرأ على قلوب المعجبين بمنهجية علوم التخطيط العالمية : باطلة ، **بل نحن نجمع بين فقهنا الشرعي وأحكامه الثابتة الدائمة ، وبين إضافات أخرى ممكنة في العلوم الحديثة لا تتعارض مع مفاد هذه الثوابت** ، ولا نتحرج أن نصرح بذلك ، ونجزم ، ونتطاول على أستاذٍ شهير في علم التخطيط العالمي وخبيرٍ يزعم رجعيتنا واستئسارنا للقديم والتخلف عن موجبات التقدم ، فطاعة ربنا وقرآننا ورسولنا : أولى وآكد وأصدق من دعايات علم ظني يحاول أن يدفع الذي معنا من اليقين .

نعم : في المجتمع الإسلامي مَن لا يريد التطور ، ويُقلد ولا يجتهد ، ولا يُضيف جديداً يدور في دوائر المباح والحلال، لكننا نبرأ منه ، والأداء الدعوي قد تجاوزه، **والمنهجية القيادية الإسلامية المعاصرة منفتحة جداً ، وتتعامل تعاملاً مرناً مع الأنماط الحضارية والدلائل العلمية** ، ولكن هذا الانفتاح لا يعني التنازل عن ثابت ، وكأن الميدان فيه من يرفع عقيرته بشيء من مساومة .

إن هذه القضية في التشدد والاعتصام بالثوابت الشرعية والعقيدية هي دليل يؤيد ما أسلفنا ذكره من الارتباط بين مباحث الفكر الإسلامي العام ومباحث التخطيط ، **وأن الفكر بيئة حاضنة للمعنى التخطيطي الصحيح** ، لذلك **ترتكب القيادات أكبر الأخطاء حين تُسند أمر التخطيط** الدعوي إلى رجال يحوزون **شهادة في علم التخطيط لا يدعمها تفقّه وتعلم شرعي** ، بل **ينبغي أن يعمل**

هؤلاء بمعية دعاة فقهاء ، ويكون الخطأ أعظم إذا أرهبت القيادة سَمعةَ علم التخطيط فتجاوزت الدعاة وطَلَبتْ من مسلمين سائبين أن يُخططوا لها . لأن التخطيط الإسلامي كما تلزمه رقابة شرعية : تضمن صوابَه كُتلة وعي نفسي وتجريبي لا يملكها إلا أصحاب المعاناة واللذعات .

● وتكمن خارج هذه الخصوصيات الإسلامية : ظواهر في مجمل العملية التخطيطية تتشكل خصوصيتها من خلال صفة النشاط الحزبي التنظيمي الذي تمارسه الدعوة وليس من ذات الصفة الإسلامية .

□ من ذلك : ملاحظة "أثر البيئة" في إنضاج الفكر التخطيطي في المجموعة الدعوية ، والإيحاء المتوالي المتدرج الملازم لمراحل العملية التخطيطية ، قبل حصولها ، وفي أثنائها ، وعند تطويرها ودفعها إلى أعمال عالية المستوى ومتقدمة في نهايات التنافس السياسي وخطوات التمكين . فالتخطيط عندنا في المجال الدعوي ليس هو مجموعة نظريات وافتراضات وبدائل تتداولها لجنة فتصوغ منها خطة ، فذلك هو العنوان فقط ، وإنما التخطيط في محيطنا هو ترسبات نوعية بطيئة في نفوس وعقول الدعاة كلهم ، تنشأ من التعامل المباشر مع الندوات والمؤتمرات ومعارض الكتب ومعارض الفن ومحادثة الجماهير عند الانتخابات البرلمانية والبلدية ، وأثناء التحديات السياسية ، وعند إغاثة الداعية لفقير ويتيم وانكسار القلب لأرملة، وخلال الحوار التنموي مع الخبراء في الجامعات ومراكز البحوث، وقبل هذه جميعاً : عند الصمت الواعي بين يدي خطيب جُمعة ماهر يحلل أبعاد قضايا الأمة الإسلامية ، وفي ساعات التفكر المستوعب عند يقظة الحواس بعد كل صلاة فجر ، وهو الفن الذي ينفرد به المصلون .

فهذه الأنواع والأشكال من النشاط الحيوي عامرة بالمعاني التي تنفعل بها نفوس الدعاة ، ومن تداولها تنشأ قناعات تخطيطية كثيرة يتواصى بها الأذكياء ، ويكون لهجهم بها مرحلة سابقة على وضع الخُطة ، ثم تكون اقتباسات مما يرونه ويتعاملون معه ويقلدون النجاح الذي يلمسونه ، لأن هذه الأعمال على

اختلاف مصادرها ، منّا أو من منافسينا : ليست كلها ارتجالية أو عفوية ، بل شطر منها قائم على سبب تخطيطي ، **وأي تخطيط نتعمده لا يولَد فجأة ، وإنما الحياة الحزبية والسياسية والدعوية حلقات متسلسلة ومجموعة تنفيذات لخطط كثيرة سابقة ، وفي كل بلد تاريخٌ من التخطيط المتعاكس وعمليات الصراع تكون في الغالب هادفة ملتزمة بوسائل معينة وهناك اختيارات وممارسات انتقائية ، وليس كل الأمور يكون تخريجها على أنها ردود فعل** ، وبالنتيجة : **فإن الحياة بكل جوانبها تشهد صراعاً تخطيطياً محتدماً ، والذين يتعاملون مع هذا الصراع بَشَر لهم إحساس وقلب ومشاعر وقدرات نفسية وعقلية ، فيكون تأثيرٌ في اللاشعور لهذه الكُتلة الواسعة من الإيحاء التخطيطي** ، وبعضها ينغرس بعد موازنة وتأمل ومحاكمة عقلية ذاتية ، أي في الشعور الواعي ، وكل ذلك يفسر معنى الآثار البيئية التخطيطية في طريقة ولادة ونمو أي عملية تخطيطية لاحقة ، **فالظاهرة التخطيطية في الجماعات والأحزاب والأمم تيار مُتصل مترادف** ينساب بسلاسة إذا كانت الحياة عادية ، وأما أن تكون مجموعة دعوية ترتجل ولا تخطط : فذلك ليس سببه الغفلة، ولكن العُتاة من الحاكمين يضعونها في محنة بعد أخرى، ويسدون أمامها موارد النمو ، ويسلبونها الحقوق السياسية والإنسانية ، فتلتهي عن التخطيط بمداراة جراحها وعلاج آلام دعاتها ومسجونيها وشهدائها .. وكذلك شعوب وبلدان **الأمة الإسلامية : الانطباعات التخطيطية فيها وافرة ، لكنها ممنوعة من مجاراة الطموح** ، لتعاون الظالم المحلي مع الرغبة الاستعمارية للدول الكبرى ، ومع " العولمة " ، ومع مطلب عيش إسرائيل بين جيران ضعاف يهلكهم الارتجال .

وحاصل هذا الكلام : **أن الدعوة التي تحترم نفسها وتحرص على مستقبلها لا** ينبغي أن تكتفي بتكليف لجنة أن تضع خطة ، كمن يضغط على مفتاح كهربائي لينير غرفته . بل **عليها أن تجعل حياتها اليومية عامرة بالمؤتمرات والندوات والدورات وعمليات الحوار الفكري والنشاط العام خارج الصف الدعوي ،**

وخلال كل ذلك **تدأب على إرسال برقيات تخطيطية كثيرة** ، تستمر في الترسب في نفوس الدعاة ومن يواليهم حتى تكون وعياً تخطيطياً ، فهذا الوعي وتشكيله وإثراء مفرداته عملية سابقة على صياغة الخطة ، وإذا لم تحسن القيادة إرسال هذه البرقيات والرسائل القصيرة والومضات ذات المعنى والمغزى : فليكن انتظار حصول الترسبات العفوية في اللاشعور ، فإنها حاصلة لا محالة كنتيجة للدأب في الحركة .

□ وتردف هذه الظاهرة : **ظاهرة أخرى تقوم بدور التكثيف للمعاني التخطيطية في المحيط الدعوي** ، وتمنح تسريعاً لعملية إنضاج الدعاة الصاعدين وبلورة المفهوم التخطيطي لديهم ، **ومادة هذه الظاهرة الإيجابية : جهودُ القيادات الوسيطة ، وبذل المربين ، ورجال المكاتب واللجان التخصصية على اختلاف أنواعها ، وجمهرة المتصدين للعمل السياسي والفكري والإعلامي** ، من عضو برلمان ، وموظف كبير ، ومقدم برنامج تلفزيوني ، وأساتذة الجامعات ، وهم مئات في كل قطر ، وأحياناً : الوف ، فهؤلاء لهم همس في المجالس الخاصة ، وجهر في الخطب والمحاضرات ، ونقد وتحليل ليوميات الحياة الدعوية والعامة ، وكتابات ، وكل ذلك يمكن أن يكون داخل وخارج المنهجية المقررة ، فيتولد من كل درجات الإيماء والصراحة مجموع من القول النافذ المربي لمن في الساحة من أعضاء وأنصار وموالين ، **ومن جملة ذلك** : قول في قضايا تخطيطية كثيرة متناثرة غير مرتبة ، لكنها تعمل عملاً بطيئاً وتساهم في تشكيل العقلية الدعوية المتكاملة المتضمنة لجانب تخطيطي ، فإذا ساند هذا القول السائب قول منهجي متفق عليه ، وتوجيه قيادي يبدي التقويم الدعوي للأحداث المستجدة : زادت كمية القول النافذ ، وتضاعف زخم الدعاية للأساليب التخطيطية .

والمناظر المرئية العملية جزء من ذلك ، فلو أن منطقة من مناطق العمل نَزَع مسؤولها نزعاً تخطيطياً ضعيفاً ، لضعف قابليته ، أو لنسيان يعتريه عند زحمة المطالب : فإنه قد لا يسترسل في الضعف إذا كان الشأن التخطيطي في منطقة

أخرى عامراً ، لأن العدوى ستسري إليه وإلى الذين معه ، وتغزوه الإيجابيات غزواً، لمكانة التقليد في السلوك البشري.. ومثل ذلك : انتصاب قدوة في الساحة، ونجاحه في استقطاب الناس : سيحفز قدرات كامنة في غيره ، وتدفعهم إلى التجريب ، والمحاولة ، والسير على خطوات ذاك الناجح .

□ وكان من شأن بعض العاملين أن يطلبوا أعواناً جاهزين صقلتهم التربية وصاغهم الإعداد المنهجي ، فيطول انتظارهم دون جدوى ، لأنهم يغفلون عن أن مثل هؤلاء هم عناصر ثمينة يتنافس المسؤولون في ضمهم إليهم أيهم أسرع ، فكان منّي أن رفعت الصوت بالمخالفة ، **ودعوتُ إلى اختيار العناصر الفتية الشابة الذكية وإن كانت عارية عن الخبرة والعلم ، وتكوين فريق عمل منهم يمضي في وجوه النشاط تحت إشراف مركزي ، وانتظار حصول نضوجهم من خلال الممارسة والتشجيع وتدبير البيئة المساعِدة ، فكانت النتيجة بالغة النجاح ، وظهرت طاقات كامنة فيهم كأنها كانت تحتاج إلى هذا التحفيز فقط ليلمع معدنها الأصيل** ، ومع تكرر هذه الثقة بأكثر من فريق ونجاح المحاولات : صارت هذه الطريقة هي الحل الأمثل عندي لمشكلة قلة المؤهلين ، وغدت مورداً ثرياً لإمداد العمل ، وأسلوباً منهجياً لتوسيع طبقة القيادات الوسيطة .

ويصدق هذا الأسلوب أكثر في مقاربة الميادين التي زهدت فيها الخطط الدعوية السابقة وحصل لها وعي مستأنَف جديد في مجالها ، مثل جوانب "الفن التشكيلي" و"العمل التنموي" ، فإننا حين صدعنا بوجوب هذه الممارسات في هذه المجالات : استجابت لنا مجاميع من الدعاة كثيرة ، ومن الموالين وعموم الناس أهل الصلاح والصلاة ، بأكثر مما توقعنا ، ووجدنا الطاقات جاهزة للاستجابة ، وما كان ينقصنا سوى لمسة الحنان التخطيطية ، وبعض المال ، وبعض الشكل القانوني في الممارسة من خلال جمعية ونادٍ ومؤسسة .

والمظنون أن المحيط الدعوي النسائي يحتاج لمسات حنان يسيرة لتتفجر فيه طاقات مهملة يمكن أن تضاعف الأثر ، لأن الاستقراء يفيد بأن دوائر التخطيط

الدعوي قد أسرفت في إهمال النساء ، وكانت العناية بهن هامشية ، وضغطت الأعراف الاجتماعية علينا فتضاعف تقصيرنا ، ولو أننا أنصفنا أنفسنا من خلال إنصافهن لحصل خير وافر نحتاجه اليوم ولا نجده ، ويبدأ ذلك من اكتشاف الأخوات الصاعدات الذكيات ذوات الهمّة ، وتكوين فرق عمل منهن ، وبذل إشراف مركزي في تأهيلهن ، وإبداء ثقة بهن ، فإذا فعلنا ذلك : تحصل طفرة واسعة في العمل النسائي ، والله يأذن ويبارك عندما تبرأ النوايا .

● أما بعد : فكانت هذه الرؤى التخطيطية كاشفة لجوانب الخصوصية التي يجدر بالمخطط الدعوي أن يراعيها ، فإنها ملاحظات نابعة من التزاماتنا العقيدية والشرعية ، أو من طبيعة العمل الجماعي ، ولا تشير لمثلها الدراسات التخطيطية العامة ، الغربية منها ، والشرقية ، والمحلية ، وإنما هي تبع لهويتنا الإسلامية والتزاماتنا التنظيمية وأعرافنا العملية .

وكأن مباحث التخطيط لا يمكن أن نستوعبها في حالاتها الجزئية المنفصلة ، بل يقتضينا الأمر أن نعرض على الدعاة "خارطة كلية شمولية" لموازين العمل والاختبارات المستخلصة من التجارب الذاتية ، المقرونة بالتجارب العالمية ، وذلك أن بعض طرائق التربية لا يوضحها غير الهدف السياسي ، وآفاق العمل الجماهيري العام تخدم السياسة ، والغايات التنموية تمنح السعي السياسي واقعية وتقترب به من الناس ، والخدمات مفتاح للعلاقات، والفكر وسيلة حجة وإقناع، والإعلام يشارك في صياغة النفوس ، والفن جزء من الإعلام ، والإصلاح الاجتماعي مقدمة ضرورية في تمهيد البيئة المساندة ، ورعاية الأطفال والناشئة جزء من ضمان المستقبل ، والمرأة نصير وفيّ ، والمال مفتاح ، وتأليف القلوب يدرأ مفسدة ويوفر مصلحة ، وتشابك هذه القضايا والوسائل عبر خططها الجزئية هو الذي يرسم الخارطة الشمولية ، وفي الأمر ترابط وتلازم وتكامل ، فالمبدع الصاعد لن يفهم هذه الصورة الكلية ما لم نتجول به على جملة ميادينها الجزئية ، ثم الذي يعلم خبر هذه الفروع لن يستوعبها تماماً ما لم يستحضر في ذهنه علاقتها

بـالمنظر الشـمولي والهـدف العـام ، ومهـارة الداعيـة في تحقيـق هـاتين النظـريتين المتعاكستين خطوة في تدريباتـه علـى حيـازة ˚ فـن التخطـيط الـدعوي ˚ واسـتيعابه لخصوصياته ❑❑❑

4 حيثيات تخطيطية كبرى

□□ يطمع الداعية أن يجد في هذا الكتاب الكثير من المفردات التخطيطية ، وخلاصات التجارب التي تحثه على فعل شيء أو الحذر من مقاربة شيء آخر ، ولا يركز الكتاب على ذلك كثيرا ، ومن يرغب أن يفهم المجمل في التخطيط الدعوي وفهرست الأفعال اللازمة ، صغيرها وكبيرها : فإن كتاب "المسار" الذي مضى على صدوره أكثر من ربع قرن يتكفل بذلك ، ويثريه ، ويضع بين يديه تسمية أنواع النشاط التي تتشكل من مجموعها خطة متكاملة ، واستدركت "صناعة الحياة" بعد ذلك فوضعت إطاراً لفهم جديد في معنى العمل ، وأوردت ترتيباً لكيفيات التناسق وترادف الجهود ، وتوسيع المعنى الإسلامي للعمل من خلال الاقتراب من الأداء المعرفي الحضاري ، والاعتراف بالفن ، ثم توسعت "المفردات الخططية" جداً في "حركة الحياة" ، بل حصل غوص نحو الأعماق لكشف الجذور النفسية والجمالية والمعرفية لكثير من صغار الأعمال التي تجتمع معاً لتكوين زخم كبير وعمل مؤثر في الحركة الحيوية ومحاولات السيطرة ، كما أن الكتاب هو حصيلة استقرائية وتحليلية لمنظر "الحياة" الشمولي وترابط أجزائه .

أما هذه الرؤى التخطيطية فإنما أُريدت أن تكون "مقدمة عامة" في الفكر التخطيطي الدعوي ، وعملية رصد للظواهر العامة فيه ، والتي تتشكل أحياناً منها موازين وقواعد ووصايا ، ثم نَحَت منحى "الدعاية" للعمل التخطيطي ، والحث عليه ، وإعابة التخلّف عن استيعاب حقائقه ، أو الإبطاء في الاقتراب من مقتضياته ، مع وفرة من الاقتراحات التخطيطية التفصيلية .

□ إحكام تدوين المنطق التخطيطي .. يمنحه رواجاً

● وكما أن الحاجة قائمة لفريق من الدعاة في كل بلد يتولون عملية التخطيط، وعمليات إعداد أولياته الإحصائية وقواعد المعلومات الخاصة ، ثم يواصلون التقويم والرقابة والاستدراك على مواطن الأداء الضعيف : فإن الحاجة ملحة أيضاً لشخوص إمام في كل بلد يتصدى بتوسع لترويج الفكر التخطيطي العام ، وشرح الظروف النسبية المحلية والبيئية ، ويعتني بالمقارنة بين المذاهب التخطيطية ، ويبتدع نمطاً ملائماً للخصوصيات القطرية ، ويتقصد تبسيط الصعب من القواعد ، ويضرب أمثلة لمفاد الموازين ، ويبتكر المفاصل الجامعة بين التجريب والتنظير ، ويملأ سطور علم التخطيط بشحنات عاطفية تدغدغ أفئدة قلوب الصاعدين ليهوَوه ويعشقوه ، فإن اللغة الحماسية مطلوبة لكسر حِدّة هذا العلم الجاف .

● وسبب لزوم وجود هذا المفكر الذي هو فقيه مجتهد في حقل التخطيط ، غير مقلد ولا مجرد مُردِّد : أن "التنزيل النسبي" لكليّات هذا العلم على ظروف كل بلد ومتطلبات كل مرحلة : أمر مطلوب ، وتتداوله الأوساط القيادية في اجتماعاتها ومؤتمراتها ، والأوساط التدريبية في دوراتها وتمارينها ، فإذا بقيت المعاني تتداول شفاهاً ويتم استحضارها ارتجالاً : فإنها تكون مُرشحة للنسيان ، وقد لا يؤمن بها السامع عندما تجبهه أول مرة ، ولكنه إذا حازها مكتوبة مرتبة وبلغة عاطفية وأساليب بحثية فإنه سيقلّبها مراراً ويطالعها متأملاً فاحصاً ، ويكرر ويستأنف ، ويحاور نفسه ، فتكون قُدرتها الإقناعية كمادة مكتوبة أكبر من قدرة الكلام الشفوي الذي لعله يصادف ساعة تعب أو ذهول عند السامع ، وحيثما نجد نوع إبطاء في صياغة الخطط ، أو رخاوة في الاعتصام بها وتنفيذها ، أو خلاف في النظر والاجتهاد : فإن الذي يسبق إلى الذهن في الغالب أن يكون عدم وجود هذا المفكر التخطيطي هو السبب الكامن وراء ذلك ، فليس كل منطق سريع النفاذ إلى

العقول والقلوب ، وإنما بعضه يحتاج تـَمَعُّناً وإطالة تحديق في سطور تشرحه . وقد تنغلق الأبواب في المساء ، لِتَعبِ ، ثُمّ تنفتح مع إشراقة الصباح ، والنفوس أسرار ، مع أن الآراء الشفوية إنما هي مقاطع حوار لا تكتمل ، ولا يربطها سياق، ويُنافر بينها التضاد ، لأنها تُقال من مجموعة ، بينما إنتاج فكر المجتهد قولٌ مجتمعٌ ونسقٌ يتوالى وتربط القيود المنهجية آخرَه بأوله ، فيكون أنفذ ، وليست هذه رغبة في حصر القول به وحجب آراء العُصبة والأقران ، وإنما هي إشارة إلى أفضلية كُتلة القول الجامع ، ويستطيع هذا المفكر من خلال مهاراته أن يلتقط آراء الآخرين ومذاهبهم المختلفة ويصوغها ويعرضها ضمن مقالاته ، فهو وكيل في التعبير عن قناعات جمهرة أصحابه ، وليس هو بالمستبد الحاجب لآراء غيره .

□ آثار إيجابية لرواج الفكر التخطيطي

● فإذا حصل استقبال جيد لتدوينات فقه التخطيط : فإنّ ضماناً سيتأكد ضد ظواهر سلبية قد لا يبرأ منها محيط الدعاة إذا كانت التربية لم تتعمق بعد ، وبقيت بقية من حظوظ النفس والطبائع البشرية في التعلق بالدنيويات ، ولربما يُساهم اختلاط النوايا في تكوين قناعات ظاهرها الحرص على الصالح العام وباطنها حفظ مكاسب ، وقد يكون ذلك خفياً في اللاشعور وبتلبيس شيطاني لا ينتبه له المتورط .

□ من ذلك : زهد بعض القياديين بالخطط وإلزاماتها ، ونفرتهم من الوصايا الإستراتيجية ومقولات الفريق التخطيطي ولَهَجِه باستشراف المستقبل والأنماط المنهجية ودعوته للاستقراء الإحصائي والدراسات الميدانية واستمزاج آراء الطبقات الدنيا والمرابطين على ثغرات النشاط ، حتى يتحول ذلك إلى تبرّم ، وهم يفلسفون هذا التضايق بأن سرعة القرار فريضة ، وطرائق التخطيط نافلة ، وأن الوقت لا يتسع لحوار طويل ، وأن حرية القيادة أرجح من تقييدها بنظرات

مسبقة وتخطيط ملزم ، وما معهم من التجريب لا يُخوج إلى وصاية عليهم ، وأن العفوية أقرب إلى سمت الإيمان والتواضع والتيسير من حرج القيود الخططية ، وأن الإبداع يجب أن ينعتق ، وأن بركات الصدر الأول والجيل الأقدم أوفر من تكلّفات اللاحقين ، ولربما يكون التوكل أجدى من التعلّق بسبب . في مزاعم أخرى ، وكل ذلك باطل ، وقد يكون نابعاً من رغبة في الاستمرار في مكان الصدارة ، ويخشى أن يُزاح ويحل محله جيل جديد ، فهو يتشبث ويناور من خلال هذا المنطق المرجوح ، **والتوكل حق ، والعفوية وصية ، والتجريب برهان للتجريد والخيال ، والحرية انطلاق ، وكل ذلك صواب في ظل التخطيط والمسيرة المنهجية ، أما في العراء وبعيداً عن الالتزام بحدود واضحة فإن ذلك الصواب يتحول إلى تعسف وتفلسف وغطاء لشهوة النفس** ، وأجدر بالمؤمن أن يحتاط ويخرج من الشبهة إلى اليقين ، ومن كبحات الارتجال إلى ضمانات الهندسة والمواصفات القياسية .

□ **ومن ذلك : العصبية ، وترشيح صاحبه وصديقه ، وابن بلدته ومنطقته وقطاعه ، أو ابن عشيرته وفخذه** ، على قاعدة : أنصر أخاك ظالماً أو مظلوماً ، على طول المدى ، صلُح أو لم يصلح ، ومكافئاً كان أم طارئاً ، وواضح أن هذا النمط إنما هو تعبير عن بقية باقية من رواسب الأعراف الجاهلية في القلوب ، ويتولد من ذلك تفويت منافع إسلامية عديدة ، وأنواع عجز ، وردود فعل سلبية عند الثقة الذي أهملته الأثرة ، **ويصل الأمر إلى ضمور البركة ، لانحراف المتعصب في شهادته عن سواء الاختيار ، ولكنّ عُمران البيئة بالفكر التخطيطي يعالج هذا الاعوجاج** ، ويؤسس رقابة عند الأداء تجعل من الصعب على المتعصب اختراقها ، وتردعه عن الإلحاح ومحاولة الالتفاف ، وعندئذ تتقبل الأجواء الصراحة وصرامة رأي جريء ينقد الصداقات والقرابات والارتباطات العاطفية .

□ ثَمَنُ الامتياز ... وسُلطة الفاضل

ثـمّ المنـتظَر مـن الفكـر التخطيطـي واجتهـادات "الإمـام" فيـه أن يقـوم بـدور القاضي العادل والحكيم الوقور لمنـع احتمـالات حصـول خلـل في التـوازن بـين المتطلبات أو قسمة ضيزى بين الأطراف التي لها حق متقارب الدرجة .

□ من ذلك كمثال لتوازن المتطلبات : الانتبـاه الـدائم للمعنـى المتميـز للعمـل الإسلامي عن غيره من التيارات الموجودة في الساحة ، وأنه عمـل هدفـه الأول : التوحيد ، وحمل الناس على عبادة الله ، وتعليم آداب الإيمان ، ومكارم الأخلاق، وإصلاح الأنفُس ، وتـثبيت الحياة العائلية ، وتكـثير الحـلال ، وتحجـيم الحـرام ، والنهي عن المنكر ، ودفع العدو بالجهاد ، وتحصـيل الحريـة للنـاس ، ونشـر علـم الشرع بينهم ، وتوفير أداء حضاري معرفي ، وتحقيق عمـران مـدني ، وكـل ذلـك إنما يتحصل بطرق وأدوات ووسائل عديدة بعضها يـردف بعضـاً ، تبـدأ بالعمـل الفـردي الخـاص ، وتمـر بالتربيـة ، والفكـر ، والكتـاب ، والإعـلام ، والنشـاط المؤسسي ، والارتباط بالمسجد ، وتنتهي بالسياسة والوزارات ومُعطيات السُلطة ، فإذا وصل التيار الإسلامي إلى الحكم أو شـارك فيـه فـإن ذلـك لا يكـون مـدعاة لفتور في التعامـل مـع المـؤثرات الأخـرى التربويـة والحضـارية والجهاديـة ، لأن السياسة في قـوانين "الحركـة الحيويـة" إنمـا تـُمارس لتخـدم الأهـداف المتسلسـلة الخيرية وتحقيـق الغايـة الكـبرى ، ولـيس العكـس ، ويلـزم حضـور هـذا المعنـى الوسطي للسياسة في أذهان عموم المؤمنين الإبداعيـين علـى سـبيل الـدوام ، وأن يُغذي الفكر التخطيطـي هـذا الفهـمَ المتـوازن ببحـوث وتقـارير ، وأن تلـهج بـه اجتـهادات المفـكر القُطري ، بل تـضغط إذا رأت بوادر بَطَر وفرح دنيـوي عنـد ممثـليه في السلطة ، وفتور واسترخاء في حـمل مهمة البشارة والنذارة مـن قبـل وزير ونائب ومدير ، لأن أصل قيام الشرعية التبليـغية الإصلاحية إنما ينطلق مـن هذه الوظيفة الرقابيـة لذي العلم على الجاهل ، ولذي الجد على الهازل ، ولأهـل

الإيمان على أهل المعاصي ، وللحضاريين على الرجعيين ، ولرجال التنمية على قاعد ومستهلك وساذج ، فبما لهم من خبرة وحرص وبناء : فضّلهم الله تفضيلا ، ومنحهم امتياز الإصلاح وتحريك الحياة ، والمغزى يلبث مُبهماً ما لم يشرحه أئمة التخطيط ، وقد تنشأ على جانبيه بدع التأويل ما لم تمسك القيادة يَدٌ صارمة ، تعلو على الكف الناعمة .

▫ الفكر التخطيطي يعتبر " الهجرة " محركاً حيوياً

▫ **ومثال القسمة الضيزى : زهد الداخل بالخارج ، وتقليل الاستعانة به ، بدل التكامل ، فإن "الهجرة" ظاهرة عامة في الحياة المعاصرة ، لأسباب سياسية وأمنية** واسترزاقية ، وما من بلد إلاّ وقد تعرضت طائفة من خيار أبنائه من الخبراء والعلماء والتجار وأهل الطاقات المتنوعة والكفايات النادرة لهجرة إلى خارج البلد ، إلى الغرب ، والشرق ، والخليج ، والبلاد المجاورة ، بل إلى آفاق بعيدة ، فتناثرت الكُتلة ، وصارت شظايا ، **ولكن وسائل السفر السريعة ، والهواتف والانترنيت والبريد الإلكتروني والفضائيات : ما تركت بعيداً يحسّ بأنه النائيَ المنسي ، بل جمعت الشمل ، وضمّت الأقاصي ، وأعادت التكتيل** ، وأوجدت وسائل سهلة لانسياب الجهد الخارجي على اختلاف أنواعه إلى الداخل وأن يَصبّ في واديه شيئاً من خبراته وإنتاجه وأمواله ، وأن يُشارك في عملية التوعية والتربية والتدريب والتنمية البشرية ، وتطوير العمل المؤسسي من خلال فروع خارجية ، أو العكس ، بتأسيس خارجي يمتد إلى الداخل ، وأقل ذلك : الأداء الإعلامي ، والتعليم الجامعي العالي ، وإمداد بنوك المعلومات الإسلامية بالمستجدات ، ونقل التكنولوجيا المتقدمة ، وتوسيع شبكة العلاقات الدولية المساندة، والتنسيق مع منظمات حقوق الإنسان والأمم المتحدة والمؤتمرات العامة، والتقارب مع بضع مئات من المفكرين والأدباء والأحرار والقيادات السياسية والزعامات الجماهيرية من مختلف الأمم العالمية وإعلامها بأحوال القطر وطلب

النُصرة منها ، وهـذه ميـادين كـبرى مهمـة قـد يعجـز الـداخل عـن متابعتهـا ، ويستطيعها مَن في الخارج بعون الله ، وربما يكون إتقانهم لها أكبر ، بسـبب البيئـة المتقدمة في العالم الحر ، وتوفر الحريـة والأمـن ، وعـدوى الالتـزام المنهجـي الـتي تسري إلى الإسلاميين من عموم الأداء المنهجي العـامر في الحيـاة الغربيـة والـبلاد الغنية ، وتيسّر وسائل البحث ومراكز الوثائق والمعلومات ووفرة الآليات المتطورة والنظم الخَدَمية ، بحيث أن المقيم في الخارج يسهل عليه أن يحـوز صـفات المسـلم الحضـاري ويتفـوق علـى قـرين لـه في الـداخل ، ربمـا ، إذا اسـتويا في المسـتوى الفطري والتعليمي ، بسبب آثار البيئة ، وكل ذلك منطق يضـع أهـل الـداخل في زاوية ضيقة تصعب عليهم فيها الحيصة ، وفيها إجبار لهم على أن يجعلـوا عُصبة الخارج شركاء في صناعة القـرار ، وفي كثافـة الحضـور في المؤسسـات ، ومـنحهم فرصـة القـول والظهـور والتمتـع بحقـوق موازيـة ، ويؤكـد ذلـك تنـامي أعـداد المهاجرين ، وظهور استعدادات واسعة لدى أبناء الجالية الذين لم يعرفـوا الالتـزام من قبل لخدمة الأهداف الإسلامية العامة وإضافة خبراتهم إلى خـبرات الملتـزمين إذا اتضـح لهـم أن الأمـر جـد ، وأن التخطـيط والـرؤى الإسـتراتيجية وقواعـد استشراف المستقبل هي الحاكمة للنشاط ، وما ثَـمّ ارتجـال وعفويـة ، وإزاء هـذه العطايا يحق لنا أن نجزم بأن غضبة الذين في الداخل على أهل الخارج بحجـة أنهـم يكابدون ويُعانون إذ أولئك في الرغد وسعة العيش والهزيمة من المعركة : إنمـا هـي غضبةٌ باطلة ، وفِرْيةٌ ، وقولُ متضايقٍ أرهَقَه البذل ، فنحن معهم في وجود كسولٍ ومُترفٍ يضع هموم بلده وراء ظهره ويصير دنيوياً في دار هجرته ، ولكنهم نِصفُ الموجود ، والنصف الآخر أُخروي يتحرق ويريـد أن يخـدم ويُفيـد ويمـنح خبرتـه وجهده للخُطة والأمة ، مهما عاش في بيت جديـد وركـب سـيارة فخمـة ، فـإن الشأن هو شأن القلوب إذا عمرت بالمعاني واتخذت المال مجـرد وسـيلة ، ونخشـى من بقية حسد في النفوس يحمل علـى نكـران حـق المهـاجر ، وليحتسـب المـرابط أجره وثوابه عند الله ولا يُظهر الإدلال على أهل الخارج ، وتعميم القول الزاهـد

بالمهاجرين إذ فيهم النجيب والأصيل عدوان على مصلحة الإسلام العليا ، قبل أن يكون نَيلاً من ذواتهم ، **والتكامل أصل تخطيطي مؤكد ، ومهمة الفكر التخطيطي أن يُفسر الأمور بالحسنى** ، ويزيل الالتباس والتشابك الحاصل في المعاني . فإن ظاهرة الهجرة في الحياة الإنسانية هي ظاهرة مُعقدة جداً ليس من الصواب منعها أو جعلها عاراً وتهمة هزيمة ، إذ في ذلك تعسف ، **وضرورات الناس المعاشية والعاطفية لابد أن تُراعى ، وعلى القيادات أن تنظر بعين واقعية، وأن تحلّل الظاهرة بعقلانية**، ولها أن تأخذ بالحزم أحياناً ، كاستثناء وبمقدار ضئيل، فتمنع هجرة ركنٍ يختل التوازن بهجرته ، ولكن ليس لها الاستطراد ، وخير لها أن تعالج سلبيات الهجرة عبر التخطيط التكاملي الذي يستقصي إحصاء الطاقات ، ويجعل لكل مؤمنٍ إبداعيٍ قَدْراً ، **بل "الهجرة" محرك من محركات الحياة ، وهي إيجاب لا سلب** ، وخير ينافي الشر ، ولكنْ لكل قاعدة شواذ ، وذلك فرعٌ من تقوى النفوس أو طغيانها . وليس كل مرابط يستطيع التفلّت من وطأة هذا القانون النفسي ، بل الكل يخضع له ، وشطر ممن في الداخل هم من أهل الدنيا أيضاً ، وبعضهم يريد الهجرة وتقعد به الهمم والأقدار .

□ شُعاع المِفْصَل الفكري

● ومن الحيثيات الكبرى في الشأن التخطيطي بعدما استبان منطق وجوب وجود **الفقيه المفكر القُطري في الفكر التخطيطي** : مفادٌ منطقيٌ آخر يوجب **وجود مفكر قطري آخر في "الفكر الإسلامي العام" يقوم بوظيفة "الشهادة" على الفكر الإسلامي العالمي** ، والإقرار لبعضه وانتقائه وترويجه وإدخاله في المناهج والتداول العام ، والرفض لبعضه وانتقاده وتمحيصه والتعقيب عليه والتحذير من أوهام تصاحبه .. ثم من تمام وظيفته أن يُساهم في الفكر العام مساهمة إبداعية تضيف جديداً ويحاول المشاركة في إنمائه ، وفتحُ آفاقٍ بِبكرٍ وإضافات موضوعية فيه ، مع تميّز بأسلوب خاص إن استطاع ، من باب إثراء الخيارات والتنوع .. ثم

يلحظ أثناء أدائه تحصيل "امتلاءٍ نفسي" لمؤمني قُطره الذين يتكون منهم التيار الإسلامي ، متابعة لوجهٍ من وجوه الفطرة الإنسانية في حب امتلاك الأشياء والمعارف والخصائص والميزات وأسباب الفخر والمنافسة ، فهم يأخذون الخير والفكر من غيرهم ويستقبلونه ويحتفون به ، لكنهم يحبون عطاء شيء مثله وتصدير فكر يُقابل ما استوردوه ، وتسجيلاً لمشاركةٍ تجعلهم الأكْفاء لغيرهم على سُنن التساوي .. ثم هو الذي يضع أصول الفهم النسبي وشرح موجباته ومعاييره التحليلية إذا انتهى النظر إلى وجود خصوصيات في بيئته القطرية ، مما يتحول إلى مغايرة في الأولويات ، ومراعاةٍ لضغوط الضرورات .. وكأنه من بعد كل هذا هو المؤهل الأظهر للمشاركة في المؤتمرات الخارجية العالمية ، والندوات ، والمحاورات ، وبرامج الفضائيات ، والتعامل مع الحيوية الكامنة في مواقع الانترنيت المتميزة وعنفوان لغاتها الخاصة ، ويُحقق "الحضور القطري" في الفعاليات الفكرية العالمية ، تحيط به كوكبة من أوفياء التلامذة الذين يخلفونه ، أهل الجد والنهم في المطالعة والتعلم ، ماضياً وراسماً لنفسه طريق "النظر الاجتهادي" في حقول العلوم الشرعية ، والحرص على دقائق الاستنباط التي تلبي حاجات حركة المؤمن العصري في الميدان الحضاري التنموي المعقد وما يضبطها من إفتاء وبحث في الفقه المقارن .

● وكل ذلك تألقٌ ، وحشودٌ عاطفية ، وثراء عقلاني ، وهوية ، وسُمعة ، وسببُ ترجيح ، ومدارجُ تفوّق ، ومعالمُ ذات إيجابية ، وآلية اختراقٍ لصعاب ، وأداة حسم ، ومصدرُ ولاء : ولكنّ بعض القيادات تُبدي قلة شوق إلى ظهور مثل هذا المفكر لديها ، وتذهل عن هذه العطايا ، وترهق جميع المبدعين بتنفيذِ أعمال يومية ، فتمنع فرصة نبوغ مفكر منهم ، خلافاً لحيثية في التخطيط مهمة تمنح الفكر مكانةً راجحة ، وتوصي بتخفيف الأعباء العملية على أهل اللمعات ليتمكنوا من التنظير .

ومن النتائج السلبية لفقدان المفكرين : احتمال حصول مدارس فكرية متصارعة ، وسريان البدع العقيدية ، والإفتاء المتساهل ، وضمور الأشواق في كلام الواعظين ، وصبوةٍ عند الشباب ، والنحت من الحساسية الإيمانية ، وارتجال المواقف ، وحصول فوضى في التقويم ، ونجاح الضعفاء في تدليس أمورهم ، وإهمال الثقات ، واختلاط النوايا ، وهبوط الأذواق ، وغلبة الانفعال بسبب غياب الوقار الذي يمنحه التداول المعرفي للأدب والتاريخ ورمزيات الفن ، وكل ذلك سوءٌ وهدمٌ ونخرٌ ويُبوسة ، وأحرى أن تعمر يوميات الحياة الإسلامية بنداوة الفكر ووتيرة الحوار المستفز لكوامن الاستعدادات ، إذ العملي صامت ، وفي ثنايا صمته وبين طيّاته ينمو عبوسٌ وشكٌ يوشِك أن يغرس أشواكه في المعترض ويدفعه نحو المشاكسة .

□ أحبولة الخُطة المقدسة

● وهذا الاستطراد يُطلعنا على مشارف حديث الخُطة التي لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها ، والتي خُتمت بها العلوم والعبقريات والتأملات ، واستوت على عرش ، فلا يجوز الهمس فضلاً عن جهرٍ يفحص بعض جوانبها ، وإنما ذلك من ضمور الفكر العام وضعف الفكر التخطيطي ، وغياب المفكر الفقيه الماهر في المقارنات وفتوى الحضاريات ، وتأخر اجتهاد صاحب الفكر التخطيطي وفن المنهجيات ، **فإن الفكر وأئمته هؤلاء يقولون بنمو الخطة وعدم جمودها ، وتطورها وتغيرها حسب المستجدات ، وأنه لا قُدسية لخطة ، ولا إلغاء لشخصيات العاملين وإملاءات الميدان وإشارات الحَدَث الطارئ** ، وكم من أمرٍ يُبرَم وتقع في الغد حيثيات نقضه ، ومن سر ينكشف فيُبدل القناعات ، **ولذلك** صار حديث " المرونة " **من أهم أحاديث فقه التخطيط** ، وأن نلين لحقيقة انكشف عنها الغطاء ما كنا نعلمها ، أو نعترف بنجاح خصم يتوغل في أرضنا كُنّا نظنه سابتاً وهو يتأهب بعيداً عن رقابتنا ، **ولننظر حادثة احتلال الكويت التي قلبت**

الخوارط السياسية والنفطية والاجتماعية وخارطة القوى والانتشار الاستعماري ، وكانت مُنطلق "العولمة" ، ثم بقيت الخارطة الجغرافية كما هي، واهتزازات أسعار النفط شاهد على تبديل الخطط قسراً بلا إنذار ، فبلادٌ منتجة للنفط تستفيد من ارتفاع سعره فتشرع في بناء مصانع ، وسدود إرواء ، وطرق ، وسكك حديد ، وتُكمل البنية التحتية ، ثم في بلاد مستهلكة تتضاعف عليها الأثمان فتعجز عن تشغيل مشاريع قائمة أو صيانتها ، وجاءت حرب أميركا للعراق تدميراً له ولشعبه وبُنيته التحتية وجيشه وإدارته وثروته ، بينما استفادت إيران من ارتفاع أسعار النفط الذي سببته هذه الحرب فطفقت تنتقم من العراق وتروّج لمذهبها وتصنع السلاح الذري وأسباب التفوق ، وما كان ذلك في أحلام مخططيها ، لكنه استئناف للفهم واغتنام للفرص الطارئة ، ومثلها أحوال الأحزاب الكردية التي اعتصمت بالحماية الأميركية ، وقاربت الاستقلال ، وما كان ذلك من تخطيطها ، ولكنها كانت مستعدة ، ودأبت في مواصلة الحضور ، فلما حصل انكشاف خاصرة العراق ضربوا ضربتهم السريعة ، وحازوا سلاح فيلقين من فيالق الجيش العراقي ، وانهالت عليهم الأموال بتشجيع من الحليف الأميركي . وما زال سقف المطالب الكردية يرتفع عن السقف النظري الذي توقعته تخطيطاتهم ، مهما صعدت وهبطت هوامش هذه المطالب في أثناء التقلبات الموسمية بحسب تغيرات طفيفة في المعادلات الإقليمية ، والأمثلة تترى، بل الربح والرزق الحسن يلاحق صاحبه أحياناً وإن لم يَصفِق بسوق ولم يتكلف دعاية ، كفوز حماس الساحق في الانتخابات وإقحامها في الحكم والسلطة ، وكل ذلك من المواعظ البليغة في عالم التخطيط ، تدعوك إلى المرونة مهما كنت صلداً ، وتدعك تؤمن بأن الخطط لا تُقدَّس ، وتقبل تغيير الأولويات ، والأرقام ، والتواريخ ، والشعارات ، والأصل أن تكون حاضراً جاهزاً مستعداً ، وليس أن تجمد مع أماني أجدادك ، ولا مع إخوةٍ صاغوا القرار ورسموا الخطة حتى لو بعثرت الحروب والهزّات تصورات زمن السلم والهدوء ، وإنما ضحك

الأدباء من كذبة البيان الرسمي حين زعم أن كل شيءٍ هادئ في الجبهة الغربية ليدربوك ويعلموك أن كل الجبهات تغلي وتفور ، والسراب من خلفها يُغري ويمور .

◻ رؤى التخطيط .. تجربة وإبداع .. لا تشترط شهادة جامعية

● وحيثية كبرى أخرى في التخطيط مستنبطة من تجاربنا الذاتية تنصح بأن يكون القول الأرجح في الانتقاء من الخيارات والبدائل ووضع معالم الخطط إلى جمهرة القياديين والمخضرمين لا إلى النفر الذين تتم تسميتهم لرئاسة وعضوية مكتب التخطيط ، وإنما هم شركاء ، ومحور إدارة العملية التخطيطية ، ومِفْصَل تنسيق الآراء التخطيطية التي ينبغي أن تتجمع وتتراكم من عشرات الخبراء والمجربين والمفكرين الذين تتوجه لهم اللجنة أو المكتب بالسؤال وطلب الملاحظة والوصايا وتشخيص الأهداف البعيدة والقريبة والوسائل والآليات ، من بين قيادي ، ورئيس مركز بحوث ، ومحلل سياسي ، وإعلامي راسخ ، وفقيه ومجتهد ، وبرلماني بارز ، ومربٍ قدوة ، ومثقف متوسع ، ومؤلف كتب ، وعسكري رفيع ، وتاجر ناجح ، وفنان له ذوق ، وامرأةٍ تتزعم النساء ، فهؤلاء وأمثالهم أوعيةٌ تجريبية أنضجتها المعاناة ، وأهل قلوب عامرة ربّتها المحاريب ، وعقول متحركة منحتها الكُتب خلاصات العلوم ، أو مواقف عملية خَسَمت لهم الوجهة ، ولذلك ينبغي أن تكون الخُطة من صُنعهم ، ويُعطون أولوية في القول والقرار ، وأما أن يكون المرء صاحب شهادة جامعية في التخطيط أو مظنة حيازة علم التخطيط بالسعي الخاص فليس كافياً لجعل رأيه حاسماً دون مشاركة من هؤلاء ورقابة عليه ، بل نعتبره واحداً منهم يساويهم في النظر ، ثم يزيد عليهم أنه يُنسق أجوبتهم ويُرتِّب ويصوغ الفكرة ويبقى عنصر مُبادأة ومتابعة وتقويم وترويج وتدريس وشرح .

ومثل هذه القناعة لم تؤسسها التجارب الإسلامية فقط ، بل تجارب الأمم كذلك ، وآخر الدروس العالمية الشاخصة : ضلال معاهد التخطيط الأميركية

ورغبات الإدارة العليا ، وواقعية تقديرات الخبراء خارج نطاقها ، فخطة غزو العراق والتعامل مع المقاومة والمستجدات التي برزت بعد الحرب توضح خطأ دوائر التخطيط الأميركية ، وصواب جمهرة الخبراء من صفوة المعارضين لها .

ففي تقرير لمجلة السياسة الخارجية للولايات المتحدة يو أس فورين بولسي منشور في جريدة الوطن القطرية يوم 6-7-2006 أنها سألت مائة وستة عشر خبيراً أميركياً ، فيهم وزير خارجية سابق ، وشملت اللائحة اثنين من مدراء المخابرات الأميركية السابقين ، وكبار المحللين ، فكان رأي 86٪ منهم أن خطة غزو العراق ومحاربة الإرهاب خاطئة ، وأن العالم اليوم أقل أماناً مما كان قبل الحادي عشر من سبتمبر 2001 ، وأن الرئيس بوش وفريقه لديهم مفهوم غير واقعي إطلاقاً لما يمكن إنجازه باستخدام القوة العسكرية .

وقد لا ينطبق هذا المثال على أصل مرادنا تماماً ، لأن دوائر التخطيط الأميركية راعت مصالح إسرائيل في عملية غزو العراق وتدميره ، وأقحمت الجيش الأميركي في ورطة عن عمد تلبية لطلب اللوبي الصهيوني ، ولكن القصة العراقية تحوي فصولاً من القرارات التي تجوز في ظاهر العلوم التخطيطية ولا تجوز عند المجرب البعيد النظر ، مثل حل الجيش العراقي ، بأنهم لم يدركوا آثار ذلك في انتعاش المقاومة العراقية وإمدادها بالقيادات العسكرية ، ومثل إطلاق يد إيران في العراق لإحداث التخريب ، فإنهم لم يدركوا ما بعد تخريبها من احتلالها لمراكز قوة في العراق تخدم خطتها الخاصة على حساب المصلحة الأميركية ومشاركتها في ضرب الجيش الأميركي لما حصل الخلاف حول التسلح النووي الإيراني .

□ أثر التربية في تحويل الالتزامات الخططية إلى هيام وأشواق

● وفي سياق ذكر الحيثيات التخطيطية الكبرى: تبرز أهمية "التربية التخطيطية" كعنصر متقدم على الخطة نفسها ، ثم تظل متوازية مع التنفيذ على طول المدى ، وهذا فرع من ظاهرة في الحياة عامة تشمل كل العلوم وأبواب السياسة والقانون

والتنمية ، فإن المخترعات المتطورة تلزمها خطة ترويج لها بين الناس وبيان آفاق الاستفادة منها ، والإصلاحات السياسية والآليات الانتخابية وأمثالها تحتاج توعية للناس تدلهم على مزاياها وكيفية التعامل معها ، وهكذا جوانب الحياة كلها . والتخطيط العام والإسلامي تصدق عليه هذه الظاهرة ، فإن الخطة الجيدة تحتاج إلى أناس يستقبلونها استقبالاً جيداً واعياً ويعرفون مدى تأثيرها في تغيير الواقع إلى أحسن ، وفي تشغيل الطاقات المعطلة أو الحائرة ، وهذا إنما يتم بتربية خاصة **فيها توضيح للخلجات النفسية التي استولت على القيادة ورجال التخطيط حين وضعوا الخطة ، وآمالهم وطموحاتهم ، وكيف تنسجم تطلعات بقية العاملين معهم ، وطرق تصديق النظريات عملياً وميدانياً ، وما يلزم لذلك من انفتاح نفسي وثقة متبادلة ، وما يكمل ذلك من دراسة المحيط ومعرفة أسباب التخلف والنقص ، وطرق المناورة ، وكيفية تجزيء الواجب الكبير إلى واجبات صغيرة مترادفة ، ووضع جداول زمنية تنفيذية ، وكل ذلك يحتاج إلى صدور** " شرح للخطة " كأي شرح لقانون يتداوله القضاة والمحامون ، فيه بيان فقه ما قررته وأوصت به ، وحقائق إحصائية تسوغ التوجهات المصار إليها ، ويكون الشرح بمنزلة " الكتاب المنهجي المقرر " مثل مناهج الجامعات ، بحيث تدرسه طبقات المؤمنين من حَمَلَة الهموم الإسلامية ، ليحصل تشبّع داخلي في نفوسهم بالمعاني ، ويتركز الوعي ، ويظل التأثير المعنوي يتوالى ، حتى تنشأ " **إيجابية تلقائية** " عندهم في التعامل مع الالتزامات الخططية والخضوع لمفادها **وكأنها عادة وهواية وولع ومطلب ذاتي** ، وليست تكليفاً فيه ثِقل ويؤتى على كره منهم ، ومما يساعدنا على تقدير صواب هذا الكلام أن نتذكر أن العلم التخطيطي الغربي موضوع لبيئة غربية تنامت فيها الأعراف والطرائق المنهجية على مدى ثلاثمائة سنة منذ عهد الفيلسوف بيكون رئيس وزراء بريطانيا باعث النهضة العلمية في بريطانيا وقادح التطور الصناعي الحديث ، مروراً بأثر نيوتن ، وآثار أرهاط العلماء والاقتصاديين والعسكريين والساسة ، حتى رُوّضت النفوس ترويضاً ،

وانغرست انعكاسات في الأعماق العميقة للفرد الغربي ، ومجتمعاتنا العربية والشرقية ليست كذلك ، ولم تصل بعد إلى هذه الدرجة ، وتلزمها مسيرة طويلة لحصول الثقافة المنهجية واستيعاب المذاهب التخطيطية ، ولئن كان يلزمنا بذل جهد جهيد لترويض العامة : **فإن تلقين وتَعويد "الصفوة المؤمنة الإبداعية" و "مجموعة المسلمين العصريين" على استقبال التخطيطات بصدور واسعة وقلوب مرحة وهِمَم جادة : أسهل ، ويلزمنا فيه وقت أقصر بحول الله ، وتلك هي التربية التي نعنيها ، ويزداد الأمر إتقاناً إذا امتزجت أنماط الأداء القيادي بحيثيات القضية التخطيطية ، بحيث تتلازم العاطفة مع المباحث العقلية ، ويتداخل الإلهام مع دقائق الحساب والإحصاء ، وتتراكب المعنويات الرمزية والمثاليات على الأوصاف الواقعية ، فتستولي على القوم رجفةٌ تجفُل من الارتجال** ، ونفضةٌ تدفع نحو الريادة والسبق والتفوّق والسيطرة ، و "الغرام التخطيطي" فضل رباني يؤتيه الله من يشاء من عباده الصالحين ، كمثل ما يمنح الفقه والأخلاق والتقوى والمال والمهابة □□□

□□ يبقى أن نقول : **أن الظاهرة الكبرى في فقه التخطيط وعوالمه** مما رصدته وتأملتُ فيه أثناء معاناتي الطويلة وتَفكُّري ومشاركاتي في تطوير كفايات الدعاة: **أن الأقدار تدبِّر وُسَطاء من أهل الإبداع ، يعملون على استقرار النتاج التخطيطي ، من خلال تعاون مع قائد لا تبدد المركزية قواه ، ولا يُنزل خُطته فوقياً ، ويديم النظر إلى خارطة تخطيطية تفصيلية شمولية ، ثم تساعد الجميع بعض المعطيات البيئية الإيجابية ، وتلك هي خلاصة قصة النجاح .**

● **وذلك أن التخطيط إنما يقوم على الإبداع ، ومُكنة الإبداع منحة ربانية لبعض عباده ، لكنها تتطور بالتربية ، والغربيون لهم مهارة في هذه التربية ،** وفطنوا لها وجعلوا لها منهجية معروفة ، وقد رأينا التلميذ منذ طفولته يعلمونه المناظرة والحوار ، والاعتراض ، حتى يتجرأ فيقول للمعلمة صراحة : هذا خطأ ، ولا يعتمدون التلقين ، **وقد انسحبت جرائر التربية التلقينية الرجعية على الدعاة وسَرَتْ إلى المحيط الدعوي** من المدارس الحكومية العامة ، **وذلك حال تلزمه توبة وعوده إلى طرائق السلف الحوارية ، وإلى منهجية أبي حنيفة في ترك أصحابه** وتلامذته تتعالى أصواتهم عند حرارة النقاش ، **ومبطل هو المربي الذي يجلس جلسة الملوك وإخوانه يسمعون كأن على رؤوسهم الطير ، فهذا معملٌ لإنتاج نُسَخ ، وليس هو رواق لإنتاج مُبدعين على سَنن أبي ريحان عبد الحميد الكَبْتِي الليبي** ، ونريد الذي يتمكن من توليد علم من كل علم يتعلمه ، ويزيد في القول باباً وأبواباً ، لا نُسخاً مُكررة .

□ تحوّل الخطط إلى أعراف راسخة

● **وتتصل بهذه المعاني : قضية استقرار النتاج التخطيطي ، وارتفاعه عن طبيعة القلق والوقتية والتأرجح ، وذلك أن تقادم تطبيق بعض المفاهيم**

التخطيطية : بحوّلها إلى أعراف دائمة في الجماعة العاملة ، تنساب بصورة تلقائية ، حتى لو ذهلت عن تقريرها خطة لاحقة ، وأن العُرف بدوره إذا رسخ وتقادم يتحول إلى ثابت من ثوابت الجماعة وإن لم ينطق نص شرعي برفعه من منزلة المندوب إلى منزلة الواجب ، مثل قضية "التربية الجماعية" والالتزام بمنهج واحد ، والاحتكام إلى وثائق فكرية ، ومنحها صفة رسمية حاكمة على ما يغايرها بالخطأ، فهذا ثابت دعوي ، مع أن المؤمن السائب يسعه أن يتجول في رحاب الاجتهاد .. وانظر قضية التحدث باللغة العربية بين الدعاة غير العرب ، وكيف صارت عُرفاً شرعياً ثم دعوياً ثم تربوياً ، وهي شاهد من شواهد الهوية الإسلامية ، وإن جاز التحدث بغيرها من اللغات ، ومثلها قضايا الملبس والمأكل والمواسم والأعياد والأذواق ، التي أوضح ابن تيمية في "اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم" وجوب التميز فيها عن غير المسلم ، وصارت ثابتاً دعوياً اليوم ، لأنها ليست مسائل شخصية ، بل لها علاقة بمقاومة خطط التطبيع مع اليهود ، وخطط العولمة الأميركية في التغريب ، وبذلك تحولت إلى قضية خُططية، بل إلى توجه استراتيجي فيه عصمة الأُمة من مزالق تربوية وفكرية وعقيدية وسياسية واجتماعية واقتصادية ، وحين تحدّث محمد محمد حسين في "حصوننا مهددة" وفي "الاتجاهات الوطنية في الأدب العربي" فإنه كان يُدلي بشهادة تخطيطية ومفاهيم استراتيجية ، وما كان يُدغدغ العواطف الأدبية فقط ، ومثله كلام محمود شاكر في "الأباطيل" ، ويكفيك أن يقول الفقهاء أن صلاة الجماعة إنما تُراد لإظهار هيبة الإسلام .

● إنما شهادة الشرع لهذه الأعراف بالجواز والإباحة والحلال : واجبة ، فليس كل مفهوم يتحول إلى عُرف نقبله ، ومن ذلك تمنّي الناس "المُستبدَ العادل" ، فهذا قولٌ عُرفي يتعلق بتخطيط سياسي ، لكنه خطأ ، فإن المستبد أرضى به كقدَر من الأقدار المكتوبة إذا لم أستطع خلعه ، وأما الإسلام فيقول بالشورى وإنفاذها، وبمعرفة منازل الناس وحفظ الحقوق ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ،

وبالجهاد ، وباتخاذ البطانة الصالحة ، والإنصات لفتوى العلماء ، ولا يقول بالاستبداد .

▫ الأعراف العاطفية لها سُلطة تخطيطية

● وبموجب هذه التقريرات : **فإن العقلانية التي اتسمت بها قضايا التخطيط كلها ، ومنطق استقرار النتاج التخطيطي من خلال تمكين قضاياه بالتحول إلى أعراف : لا تمنع المخطط من إنفاذ حُكم العاطفة إذا استندت إلى عُرف راسخ معدود في الثوابت** ، لأن راحة قلوب العاملين وعمرانها بالعواطف هي الأرضية الخصبة لعطايا العقلانية ، ومراعاة ذلك مِن أوجب المذاهب ، **كالذي حَدّثنا به الأستاذ عمر التلمساني رحمه الله** فقال : حين طرحنا قضية تحول الجماعة إلى حزب ، التفافاً على المنع القانوني الظالم : **أجهشَتْ جمهرةٌ من أعضاء مجلس** الشورى بالبكاء المُرّ ، وقالوا مع انهمار الدموع الغزيرة : **أتتحول الدعوة إلى حزب وهي "الروح" الذي يسري في أوصال الأمة فيحييها بالقرآن ؟ ؟**

ورفضوا ، **فكانت دموعهم قراراً فصلاً** ، وصارت سيدة الموقف ، لأن معنى الحزب يقترن بكل سوء وسلب ومصلحية في السلوك .

● **لذلك وبسبب من نفوذ الأعراف فإن الخُطط لا تتعرض إلى تعديل شامل إلا نادراً ، لأنها لم تنشأ من الصفر** ، بل كانت في كل قطر سلسلة خطط واكبت التطور واستجابت للحاجات المستجدة ، فجرت إضافات وتعديلات على الموجود أكثر مما هي نقلات وقفزات كبيرة أو تبديل وجهات ، **ومن هنا فإننا إذا أردنا قياس المستقبل على الماضي فإن طبيعة التطوير الخططي ستتمثل في إضافات وتحويرات أكثر مما هي تغييرات جذرية ، إلا ما يكون من خلال تبدل الظروف كلية وبصورة شاملة** ، كالذي حدث للعراق بعد الاحتلال الأميركي ، فإن البيئة التي تكونت بعد الاحتلال تختلف تماماً عن البيئة التي كانت زمن البعث، وحصل انفتاحٌ مشوبٌ بتعكير أمني وقتول ، وجهاد مختلط بعضه بعقيدة

تكفير وتشويش على العملية السياسية ، فتبدلت الخطة جذرياً وطرأت مفاهيم جديدة فرضها الواقع الجديد .

وأياً كان جريان تطوير الخطة ، بالتدرج والإضافات ، أو بالتبدل الجذري : فإن ذلك لا ينبغي أن يكون ارتجالاً ، بل يجب صدوره عن لجنة تخطيط مختصة دائمة البحث والدرس للبيئة والجهد المتاح ، ولها تشاور مع خبراء وقادة من أهل التجريب يحاولون اجتناب الهزّات التي تتولد من التغيير الفجائي .

□ البؤرةُ حارقةٌ أحياناً

● وهذا الحديث يتصل جزماً بحديث المركزية وسلبياتها ، وهو الخطأ التالف للجهود ، الذي ما زال يتكرر في دار المؤمنين ، وإنك لتجد القائد ثرياً في المحاسن، لكنه يجمع كل الخيوط في يده ، ويحب أن يشرف على كل شيء ، وكأنه لا يثق بأركان حربه ورقباء تربيته وضباط نشاطه ، فتبدأ الوسوسة ، وقد تكون من بعدها الفتن والانشقاقات التي تذهب ببركة العمل .

وفي التجربة : أن المركزية لا تعطل التابع عن الإبداع فقط ، وعن الاندفاع الذاتي ، ويبقى ينتظر تحريكاً وأمراً ، فيكون عجز القائد عن متابعة الساحة الواسعة ، وإنما هي تولد أيضاً تعب القائد المركزي ، وضجره ، وضيق نفسه ، ويبدأ يشعر بالتبرم ، ويميل إلى التشاؤم والغِلظة وتضعيف الثقات ، والسبب يكمن في التعب الذي تلقيه الطريقة المركزية عليه ، واحتياجها لكل وقته ، حتى يكون منه تقصير في حقوق نفسه وأهله وعياله وأصدقائه ، فيعتبون عليه ، فيرد عليهم ، وتزداد همومه ، ولو أنه أجاد توكيل أصحابه ومنحهم حرية تصرف في الصغائر على الأقل : لانخفضت كثافة أشغاله ، ووجد وقتاً لِـمَزح وراحة ، ولرضيتْ عائلتُه ، ولربما ساح وسافر وغيّر المناظر والأجواء ، فتنتعشْ نفسُه ، وينطلق ، وتتاح له الابتسامة التي **تفتح فتوحاً حجمها أضعاف الأوامر الصارمة والتدقيقات الإدارية الماهرة ، ولكن المركزيين لا تعظهم التجارب ، وتُنذرُ**

أحذهم النُــذر ، لكنـه لا يأبـه ، حتـى ينهـار إرهاقـاً ، أو تشـوّش عليـه صـيحةُ معترض ، ثم يطفق يلوم القشة التي قصمت ظهر البعير ، ولا يرى مـا قبلـها مـن تراكمات الاعتراضات لسنوات طويلة .

□ دَعْهُ بِتملك .. لتشبع فِطرتُه

● وهذه الأحوال التي تشهد لها السوابق تجرؤنا على أن نشـترط علـى القيـادة التي تريد النجاح أن لا تجعل الخُطة وصنعة التخطـيط عمـلاً فوقيـاً ينـزل جـاهزاً مُرتباً من الأعلى إلى طبقات الدعاة التحتية ، لأن عامل الاندماج القلبي مع الخُطة سيكون ضـعيفاً في هـذه الحالـة ، والواجـب أن تـتعمد القيـادة بحـث الحيثيـات الخططية مع جميع الطبقات مرتين ، مرة في بداية عملية التخطيط ، من أجـل جمـع الاقتراحات والرؤى والملاحظات والتمنيات من مجموعة عريضـة مـن المهـتمين ، كلٌ حَسَب ذكائه ومدى انغماسه وحرصه على إتقـان الأعمـال ، ومـرة ثانيـة في النهاية عندما تنضج الصياغة ، للإقرار وإبلاغ القناعات وتفسير الإثبات والنفي ، وبذلك يشعر جميع الدعاة بأن الخطة " مِلكهم الصِرف " وبفطرة التملك هذه ينحاز لها ، ويداريها ، ويروّج لها ، ويُدافع ، وينطلق ، ويبدأ عنده إحساس بأن الموجـود الدعوي العام يخصه ذاتياً ، فهو قويٌ بإفتاء العلمـاء الـذين يُشـاركونه الانتمـاء ، وهو قوي بالشعراء الإسلاميين الذين يُنافحون عن الإسـلام وعـن مصـالحه هـو كفرد له حقوق سياسية واجتماعية ، وهو قوي بالمخططين وما معهم مـن حكمـة وخبرة وتجربة ، وقوي بالمؤسسات ، وبما يسند دوره الفردي من إعـلام وإغاثـة ، والأمر في ذلك شبيه بشعور شـخص يتشـبه بـالكرام ورجـال الأعمـال فيُسـاهم بشراء سهم بمائة دولار في شركة ذات أرقام مليونية ، ففي اللاشـعور يبـدأ يتـابع أخبار الشركة في الصحف ، وصعود أثمان الأسـهم وانخفاضـها ، هـو وصـاحب المائة ألف سواء بسواء ، لأن الفطرة تقوده لذلك ، وهـو شـأن سـواد الـدعاة إذا نـفَت القيادة فوقيتها وشاورتهم بتوسع في الأمر التخطيطي ، فإنهـا تحصـل علـى

ولاء وانحياز وتصديق بالخطة وانتساب لها ، ويكون ذلك عامل تحريك قوي ، ويحصل دفع نفسي ذاتي .

□ وُسطاءُ فائرون .. فاجعلْهم وكلاء

● **ويتأكد ذلك بوجود طبقة القيادات الوسيطة وآثارها الإيجابية في تنزيل قضايا الخطة منازلها الصحيحة في أرض الواقع** ، فمن الظواهر في عالم التخطيط : أن الطبقة القيادية تتجمع لها خبرة ومعاناة ، ثم علم وحصيلة من المعرفيات ، فحين تضع الخطط تكون مدفوعة بخبرتها ومعارفها ، وتستوعب جيداً ما تهدف إليه وما ترجوه . **ولكن طبقة المنفذين تكون أقل تجريباً ، واقصر علماً ، وبذلك لا يتفاعلون مع الخطة كل التفاعل المرجو ، لا لضعف الهمّة ، بل لقصور استيعابهم لها عن درجة استيعاب القادة ، فتتولد فجوة بسبب ذلك بين الرجاء القيادي والإبطاء القاعدي ، هو ظاهرة سلبية جزماً** ، ولربما حصل اتهام للخُطة أنها خيال وأحلام وهي من ذلك براء ، والعلاج إنما يكون بشرح الخُطة وبيان الفقه الذي ابتنت عليه ، والمحركات النفسية الكامنة وراءها ، والأوصاف الواقعية التي أوجبتها ، في أحاديث أخرى منطقية وإحصائية ، مع تحليلات اجتماعية وسياسية وتاريخية ، وبذلك تستبين للمنفذ صوابية الخطة وواقعيتها ، **وهذا الشرح هو جزء من واجبات القيادة التي وضعتها ، فكما أنها تصدر الخطة كوثيقة وبنود بلغة قانونية صارمة : فإنه يلزم أن تشرحها بإسهاب ولغة علمية ممزوجة بالعاطفة ، لتكون موازاة الـمُـنَـفّـذين للقائد عبر تفهيم القيادات الوسيطة لهم .**

● ويُفترض حُلول نوع تكاملٍ بين الخطط الطموحة ، وبين أشكال من التنفيذ الميداني الذي لا ينبثق عنها ، بل عن أعراف متراكمة تجعل العمل المنتج يسري تلقائياً ، مثل كسب الأنصار وتربيتهم ، وحَزم الإدارة ، وحفظ حقوق طبقات الدعاة ، وإتقان هيكلية العمل ، وقوانينه وأنظمته ، وأشياء من أعمال القيادات

الوسيطة الثانوية تحفظ العِرق النابض من دون الارتباط بخطة ، فإنْ وُجدتْ : كانت خيراً زائداً يضاعف إنتاجنا .

● **ولذلك فإن من شأن التخطيط الناجح : أن يعتني بطبقات "القيادات الوسيطة" عناية بالغة ، من خلال منحها الحقوق ، وإحالة كثير من القضايا التنفيذية إليها ، والارتفاع بمستواها من خلال منهجية تطويرية شاملة تدفع أفرادها نحو الإبداع والإتقان ، وذلك لأن عملية "الأداء" التي تتكفل بها القيادات الوسيطة مكملة لعملية التخطيط التي تتكفل بها القيادات العليا ، و "فقه الأداء" الذي تملكه القيادات الوسيطة هو الذي يُعِين جميع الأوساط التنفيذية على التماس المخارج الآمنة للمشاكل غير المتوقعة، ولمزاحمات المنافسين،** ولأنواع كثيرة من التراتيب الإدارية والميدانية التي يعجز المخطط عن تصورها في البداية ، فيهمل ذكرها ، فتَجْبه المنَفِّذ وتجعله في حَيرة ، لولا أن يُسعفه عنصر من أعوان القيادة ومن الطبقة الثانية أو الثالثة ، **ولذلك لا نتوقع نجاح تخطيط حَسن لا تتفاعل مع مفرداته طبقة عريضة من القيادات الوسيطة** التي خرّجتها مناهج التطوير وتمّ لها التدريب ورُويتْ لها التجربة ، وليست هذه العناصر هي المشرفة على مفاصل التنظيم فقط ، بل كل رؤساء المؤسسات والجمعيات هم منها أيضاً ، **وقد ينتعش العمل القطري كله شهراً كاملاً بإبداع تقدمه جمعية الفن، ويسود كلام رصين منطقي أوساط الناس كلها شهراً آخر بدراسات تقدمها جمعية القانون ، وترتفع معنويات الناس بشروح يدلي بها علماء النفس الدعاة** ، وإن القائد مهما حرص على الإتقان فإن الفتوق أثناء التنفيذ تظهر وتفرض الطوارئ نَفسَها، وإبرة رَبّة البيت التي ترفأ العيوب والشقوق مكملة لمهارة الخياط الأول، وقد تختلف درجات التحدي في منطقة عن أُخرى ، وآثار الفقر أو الترف فيهما ، فيختلف استقبال دعاتها للخطط وتتفاوت درجات التنفيذ ، لولا أن القيادات الوسيطة تستوعب مداخل أخرى للتحدي ، فتعوض ، ويجعل وعظُها المترَف أسرع إلى الجنة من فقير .

● والتجربة العالمية المعاصرة تؤيد مبدأ حُسن الظن بطبقة "القيادات الوسيطة" وإسناد مهمات الإنعاش لها ، والثقة بقدرتها على تجديد الدماء وإنهاء حالات الترهل .

فالحزب الديمقراطي في أميركا مال بوضوح إلى الاعتماد على القيادات الكهلة، ولا نقول الشبابية، وغامر أكثر من مرة بترجيحهم على الأجيال القديمة ، فنجح، وكانت البداية في اختيار كنيدي ، وبدوره هو رشَّح أقرانه لبقية المناصب ، خلافاً للحزب الجمهوري الذي يركن إلى المحاربين القدماء ، وأما ترشيح بوش الابن ففيه خيانة وإنفاذ لضغوط اليهود .

وفي بريطانيا اعتبر الساسة "جون ميجر" مُرشح القيادة الوسيطة في حزب المحافظين المُبالغ في تقديم المخضرَمين ، فدبّت الغيرة إلى حزب العمال وقدّم "بلير" مرشح الشباب المنتمي إلى القيادة الوسيطة ، وهما بدورهما اعتمدا على طبقة أقرانهما .

ولكن التجربة الأظهر كانت في ماليزيا ، فإن حزب "أمنو" الحاكم أصابه ترَهُّل واضح وما عادت قياداته القديمة تستطيع إرضاء الجمهور ، فلما تولّى "عبد الله بدوي" الذي هو أصلح القدماء وأقربهم للمعنى الإسلامي رغم علمانيته : منح صِهرَه فرصة التقدم ، وفسح المجال للقيادات الوسيطة ، فأدت دورها بمهارة ، ورَفعتْ سمعة الحزب ثانية بعد تدهورها ، وتجددت الحيوية ، وكانت مفاجئة قوية للحزب الإسلامي هناك ، الذي بقيت القيادات المخضرمة القديمة فيه هي المحتكرة للصدارة ولكل شيء ، ولا تتزحزح عن مكتسباتها داخل الحزب ، فغلبها "بدوي" وتفوق عليها بتمكين الشباب الذين معه .

وهذه دروس لمن يعتبر ، تعظ أفاضل من الدعاة ، غزَتهم الأمراض والهموم ، ولكنهم يحبون أن ينزلوا إلى قبورهم وهم في الصدارة والمسؤولية ، ولا يسمحون لصاعدٍ ولا لجيلٍ جديد .

وما نقوله لا يُعارض القاعدة العُمَرية في تقديم الشيبات ، وقوله كَبّروا كَبّروا ، لأن قاعدته تصدق على شيخ نشط يقوم بالواجب ، وأما المترهل فلا ينفعه الاتكاء على ظاهر قولِ عُمَر .

◻ مؤسّسي ... جَنّتي

● ومن الظواهر التي ينقدها فقه التخطيط : معنىً على غِرار "بَيتي جَنّتي" يترسب في قلوب نَفَر من الدعاة الذين تأتيهم تكاليف يشير بها التخطيط أن يديروا مؤسسات دعوية عامة ، فتملك المهمة على أحدهم فكرَه وقلبَه ، وتتولد عاطفةٌ عارمةٌ تستولي عليه تجعل المؤسسة بمنزلة أبيه وأمّه وعشيرته ، وتكون حَرَماً محجوزاً محجوراً حكراً غير قابلٍ لشراكة ولا يجوز لأحد أن يُبدي فيها رأيا ، وتهمة الفضول تكون أسرع إلى من يتجاسر فينتقد ، ويتصاعد الأمر حتى يَحرِم القيادة من حق توكيلها لغيره في الإدارة ، وكأنّ المؤسسة أصبحت مِلكاً صِرفاً موروثاً عن الأجداد .

وهذه الحالة النفسية حقٌ مختلطٌ بباطل ، ووَهمٌ يُقلّل من سلبياته منطق ، فإن الإدارة الناجحة تقتضي توسعاً في التفويض ، وحريّة نسبية في التجريب ، وافتراضَ ثقةٍ في الوكيل ، ومنحَ فرصة ، مع شُكرٍ على الإحسان ، والاعتراف بحقِ المؤمن في أن يفرح بإنتاجٍ وفَّقه الله إليه ، رغم أننا نعظه أن يتواضع ، وأن يعتقد تقصيره مهما بذل ، لكن نقيس حاله على حال عبد القادر الكيلاني حين قال : إذا رأيتُ طالب العلم يتخرج من بين يديّ أقول لنفسي : هل حصل هذا فعلاً ؟ هل ربيتُه ونجحت ؟ أو قريباً من هذا القول .. فالمؤمن تسرّه حسنته ، ولا بأس أن يتحدث بالنعمة ما لم يقترف غروراً وإدلالاً .

ثم الإبداع صنعة جليلة نادرة ، ومن حق المبدع إذا انتصبتْ شواهدُ إبداعه أن نسنده ، ونتيح له الإجزال ، ونشجعه ، وندفعه لمزيد .

إنما كل ذلك يكون بالحُسنى ، وبالمعروف ، وحصول الخير الجزئي لا يلغي أولوية وحاكمية الخير الكلّي وتقديم مقتضَياته ، والأصل تتبعه الفروع ، وأنواع العلاقات لها قيمة مضافة على قيمة العمل نفسه ، والقيادات تُطل على منظر شمولي جامع للأركان والزوايا والوحدات المتناثرة والمعالم المتنوعة ، وتحب أن تحافظ على توزيع متعادل ، وترتيب متوازن ، وعلاقة متناسبة مع المقدار والكُلفة والهدف والوسيلة والطاقة البشرية المرصودة ، بحيث تستحسن أحياناً إجراء المناقلات ، وتجديد الدماء ربما ، أو تبتغي تدريب المبدع المخلص على نوع عمل آخر وتنتظر منه إبداعاً ثانيا ، وكل ذلك في أعراف الإدارة سائغ ، وفي فقه التخطيط وارد ، والمفروض أن يجري مدير كل مؤسسة وفرع ومجموعة مع رغبة القيادة وهواها ، وهي ليست معصومة من خطأ التقدير ، ولكن ذلك يمنحه حق الاستدراك ، وشرح ما يظن أنه قد فات على القيادة تقديرُه ، ولا يمنحه حق الاستملاك وإلغاء احتمال الانفكاك ، وخير له أن يلين ، ويجري مع الظن الحَسن، ويتأول لإخوانه ، ويلوذ برُبّما ورُبّما في تفسير الغوامض ، فإنّ في مثل ذلك مندوحة عن سياحة فكره في وديان القلق ، والمطاوعة أبرد للقلب ، ومن ثمراتها السلاسة في استرسال الأعمال ، بينما في الممانعات انقطاعٌ ورجفة ووسوسة ، وأما أن ينوي تحصيل ولاء من خلال سيطرته المؤسسية أو بأموالها : فذلك مُنكر مُرّ المذاق يأنف عنه السَّويّ ، ولا يحتاجه المليء الذي وهبه الله فناً يصنع به الحياة .

□ مذاهبُ قيادية

● والذي أراه أن القضية التخطيطية تتعلق بالطبيعة القيادية من وجه آخر ، فإن القائد إذا وَجَد وأدرك أن جنده وأتباعه لا يوازونه في تداول الفكر التخطيطي والإبداع وعمق الشعور بالقضية : فإنه يلجأ إلى الضرب على الأوتار العاطفية ليثير الهمم ويحصل على أقصى استنفار ، كما فعل القائد العراقي

الشجاع البطل "عمر علي" في معركة جنين حين نَزَع قميصه، وخطب في جنده عاري الصدر، لكي لا يصدّ رصاصات الشهادة حاجز حتى ولو كان من رقيق القماش، ثم قال لهم "إلحقوني واتبعوني" وهجم على اليهود راكضاً، فاكتسحهم، وانتصر انتصاراً بطولياً عزيزاً، وكل جنده معه يتسابقون إلى الشهادة.

ولكن كان للقائد البريطاني "ولنغتون" طريقة أخرى في معركة "واترلو" التي انتصر فيها على نابليون، فإنه وزّع جنوده، ثم انتحى جانباً على صهوة جواده ووقف على تلٍ يرقب سير المعركة، وتفسير هذا المذهب عندي أنه محاط بهيئة أركان مكافئة ذكية، وأنه أتم تربية ضباطه وجنده على الطرائق المنهجية والأساليب التخطيطية، فأصبحوا على وعي جيد، فما كان بحاجة إلى موقف عاطفي بعد إذ أتقن الموقف العقلاني.

وفي المثالين تذكرة لمؤمن يستفهم عن نمط القيادة وتأثيره في الخُطط، وقد رأينا الجنرال "مور" البريطاني في فوكلاند في أوائل الثمانينات من القرن العشرين يتقدم بإبطاء، وتؤدة، وبصمت، فغلبَ قادة الأرجنتين الذين ملأوا الأرض صُراخاً ومزاعم استدللنا منها على وجود فوضى وارتجال، ثم اليوم بدأ استخراج النفط من تلك الجزيرة النائية التي استغربنا قيام حرب من أجلها، ومضت تلك القصة كشاهد من شواهد الطرائق التخطيطية وعثرات الارتجال.

● وهذا يعني أن الخطة تكون في أصلها تعميمات وتوجهات شمولية، لكنها تنتهي عند تنفيذها إلى ممارسات تخصصية دقيقة تفصيلية لا تضبطها نصوص خططية بمقدار ما يوجهها تجريب وفقه خاص واجتهاد وذوق وفراسة، وأشبه ما يكون ذلك بعمليات "الأركان" في الجيوش، وهي التي تدير تحضيرات ما قبل المعركة أيضاً وتلحظ ما بعدها، وتكون قضايا التموين والوقود والاستخبار ومراعاة المعنويات أجزاء مهمة من الخطة تَعْدِل طريقة الالتحام وكثافة النار، وقد انتصر صلاح الدين في حطين بقطع الماء عن العدو الصليبي، فسهلت مكافحته.

◻ مَسْح المُعطيات يثير إبداعَ القائد

● وهذا هو الذي يوجب وضع خارطة تنفيذية للخطة ، فإنه من اللائق للقيادي أنه إذا استفرغ وُسْعَه في المشاركة في صياغة الخُطة : أن لا يجنح إلى التعامل مع مفرداتها متناثرة ، ومع فصولها منفصلة ، لأنه يوشك عندئذ أن يكون حَرْفياً ، ويفقد رؤية العلاقات المتبادلة بين أنواع الأعمال وتأثير كل منها في الآخر ، بل الأولى له والأضبط أن يتعامل مع كل الخُطة بصفتها "كُتلة تامة مترابطة" ، وذلك يحصل بأن يبسطها أمامه على شكل خارطة تنفيذية ذات مسميات واقعية وطرق وتشابك علاقات ، فيرسم منظراً إجمالياً فيه خطوط وأسهم ودوائر وحقول ومربعات وألوان ورموز وأرقام وحروف ، ويديم النظر إلى هذه الخارطة ، مستدركاً ومبتكراً ، ويحاول إجراء مناقلات ، وارتباطات جديدة بين عنصرين منها أو أكثر ، ويبدل الترتيب لتبدل الأولويات ، في أشياء أخرى يكتسبها بالمران ، وبخاصة إذا كانت له غرفة عمليات يلجأ إليها مراراً .. فمثلاً : تنص الخطة على متابعة أمر الأحزاب الأخرى ومعرفة أخبارها وسياساتها ومواقفها ، وإقامة علاقة بها ، وإسناد أمر كل منها إلى داعية مختص يكون المرجع والسفير والمفاوض ومِفْصَل التنسيق ، فهذا نص عام تترجمه الخارطة إلى تسمية عشرة أحزاب ، وأسماء أصحاب العلاقة بها .. وقد تشير الخطة من خلال نص عام إلى مهمة إغاثية ، فتفصّلها الخارطة إلى ذكر عشرين جمعية إغاثية مباشرة ، وعشر جمعيات إغاثية بصورة غير مباشرة ، يمكنها أن تتقاسم الأدوار لتنفيذ تلك المهمة ، وهكذا الشأن في الأعمال الإعلامية التي قد يُشار إليها في الخارطة من خلال ثلاثين مؤسسة وفضائية وخمسين موقع انترنيت ، والقياس يوضح بقية الأعمال ، والأمر مشابه لما يفعله القائد الحربي من تمثيل موقع المعركة مجسماً على الطاولة ، فيصنع معالم جبل ورمال ونهر وسكة حديد وقرية وتضاريس أخرى ، ويوزع رموز جيوشه ودروعه على المجسم ، مع بيان خطة

تحركه وتقدمه والتفافه على مواقع العدو ، فرؤيته هو للخارطة تزيده فهماً وتحرك عقله وإبداعه ، ثم فيها تفهيم لأعوانه وضباطه الأركان ، وعطاء خارطتنا مثيل .

□ البيئةُ المَعرفيةُ تَبْذُرُ فقهَ التخطيط

● وكل ذلك يكون مع ملاحظة "البيئة" ، فإن تنفيذ الخطط يحتاج أيضاً بيئة يشعر معها الداعية بأصالة الانتماء، وأنه حلقة في سلسلة ذهبية ، وأنه وارث مجد، وسليل أبطال صاغوا الخطط وحوّروا مسيرة التاريخ وفقاً لما تقتضيه . وأنا كبغدادي ، مثلاً ، أخرج مُذ وعيت من داري فيكون مروري على قبر أبي حنيفة، ثم الشاعر الرصافي بجنبه ، والشبلي الصوفي ، وانتقل قليلاً لأمرّ بقبر عبد القادر الكيلاني ، وأعبر النهر لأرى قبور الجنيد والسري السقطي ومعروف الكرخي والدارقطني والأشعري ، ثم أمر بالمستنصرية على جانب دجلة ، عامرة كما بناها الخليفة العباسي ، وبجنبها بقايا النظامية وكأن الغزالي يقوم فيها ، وأبواب سور بغداد ، ومنارة مسجد الخلفاء وكأن ابن الجوزي يعظ تحتها ، فيتحصل لي من حشد أسماء أصحاب القبور والآثار انفعال قوي يمنحني هوية حضارية تجعلني أهيم غراماً بتنفيذ خطتي ذات السَنَد العالي هذا ، إذ البيئة الفقيرة بالمعاني التراثية تخذل صاحب الخطط وتتركه يصارع الأقدار وحيدا .

وليست هذه قبورية ، لينكر عليّ سلفي ، ولكنه بيان عمران الحواضر الإسلامية القديمة بشواهد عطاء السلف .

ولما كنتُ شاباً التقيت بالقائد العراقي البطل "عمر علي" الذي انتصر على الصهاينة في معركة جنين في فلسطين عام 1948 انتصاراً ساحقاً ، ورأيت في التلفزيون عدو الشيوعية وزير الداخلية العراقي سعيد قزاز بعد أن فاه الحاكم الماجن المهداوي بحكم الإعدام ضده بعد ثورة تموز ، فإذا هو يقول : عندما أصعد المشنقة سأنظر ما تحت قدمي ، فأراكم ، فأدوسكم بحذائي ، ثم أضع الحبل في عنقي ، حتى بَلَعَ المهداوي رِيقَه ، ووَجَمَ كل شيوعي ، وبدفع من مواقفهما :

عمر و سعيد : حصل انفعالي وانفعال أقراني بـالخطط ، ومضـينا في إصـرار ، لا كمثل بيئة فقيرة بالأبطال .

● **وأيضاً : فإن " البيئة " تؤثر في إتقان التخطيط تأثيراً مباشراً طردياً متناسباً مـع جودة نظامها أو الفوضوية التي تعم فيها** ، فكما أن أي فرد يحصل لـه ارتـقاء في وعيه الجمالي الفني كلما مرّ عليه موسـم زاد ذوقـه ، مـن خـلال ترسـبات في لا شعوره عندما يتجول في المدينة فيرى واجهات المنازل الجميلة والعمارات وإبـداع المعماريين ، وعندما يرى هندسـة الحـدائق العامـة وزوايـا الشـوارع والنـافورات والجداريات ، أو يرى اللمسات الفنيـة في المجـلات الـتي يطالعهـا أو في شاشـات القنوات التلفزيونية ، فيرتقي إحساسه الجمالي من تأثيرات هذا النظر : **فإنّ الفرد تـتـرسب عنده في اللاشعور أحاسيس منهجية وقناعات تخطيطية كلما تعامل مـع ظاهرة إدارية وبرامج جامعية ، أو نظر إلى تفاصيل هندسية ، أو اسـتوعب تـرابط أجزاء ماكنة ، أو حصلت حرب وراقب تطور مراحلها ، أو صار تشـيـيد مصـنع في منطقته ورأى استثمار الخامات وصياغتها كمنـتوج ثمين يعدل أضـعاف سـعر أولياتها ، أو كلما أنصت لمرافعة قضائية وعرف ما في ثناياها مـن منطـق ، أو مـن خلال مؤتمر يجمع حلـولاً لمشـكلة، أو عـبر خطـط قـوى الأمـن لكـبح الجريمـة، أو أعمال وزارة الصحة لحصار وباء ، وما شاكل هذه الأعمـال الـتي تنـبني كلـها علـى نظـر تخطيطـي ومنهجيـة في التعامـل مـع الأحـداث ، فإنهـا ترفـع وعيـه التخطيطي وإن لم يقصد تـتبع ذلك** ، ومن هنا فإن إصـدار القيـادة لخطـط جيـدة يظل عملاً قاصراً حتى تنجح في تحويل أنظـار أتباعهـا المنفـذين إلى منـاظر الحيـاة اليومية هذه في بلدهم، أو مـن خـلال سـياحة ، للانفعـال مـع المعطيـات المتاحـة وزيادة المكنـة التحليليـة عنـدهم مـن خـلال **خـبير تخطيطـي يلفـت انتبـاههم إلى الدروس المستفادة من كل ظاهرة وبرنامج حـكـومي وحـدث سيـاسي وعمـل هنـدسي ، فيغدو فهم " البيئة " شرطاً ضرورياً لإدراك مغزى الخطة الخاصة** □□□

صُعُداً ... نحو التنمية

□ □ النصف الثاني من جولتنا في آفاق الطموح تحت ظلال المنهجية : يعرض تطوراً في الرؤى التخطيطية يجرؤ على دفع الدعوة نحو واجب البشارة بالتوجهات التنموية والتوكل عن الجمهور في إبلاغ حاجاته وأمنياته . والنذارة من تضييع المصالح الإستراتيجية الكبرى لأمة القرآن . أو لكل بلد من بلدان العالم الإسلامي ، وتكليف الدعوة ببعض الممارسات التنموية في أرض الواقع تكون مثالاً لفنّ الأيادي المؤمنة المتوضئة إذا ضربتْ في الأرض تبغي الإصلاح ، وإغراء الدعوة في الرحاب الحرة ببناء قواعد صناعية إنتاجية تجهر صلصلة حديدها بالتكبير ، ليوحي بمعانٍ تربوية إيجابية جهادية . ولتنغرس مشاعرُ نفسية قلبية تكون جذورها عميقة تصل إلى مكامن الثقة والاعتداد ، وتَيْنَعَ ثمراتُها عند مستوى الاستعلاء على المتخاذلين والصُلحيين . وقد وَرَد في كل ذلك منطقٌ فقهي وتجريبي وتحليلي ، من أجل إقرار هذا التوجّه التنموي كمعْلمٍ من معالم التخطيط الإسلامي الجديد الذي يليق لمرحلة النضوج والمنافسة والضغط الجماهيري بعد دهرٍ من تواريات فرضتها المحنُ والمعاكسات الباردة ..

ثُمّ إنّ عيش الدعوة في الساحة التنموية : يمنع الترهّل ، والفتور ، والسُدور ، وهو وسيلة جَمْعٍ وضَمٍّ .. لأرهاطٍ في كل وادٍ من أنقياء السريرة ... أهل السواعد المباركة □□□

6 الآليات المجوّدة لأداء الدعوة التنموي

□□ كل تطوير إنما تقدح زناده نظرة نقدية للواقع ، وتقويم ، ورؤية ملامح تستبين في الأفق تُنبّه القانع الهادئ بأن حاله يقتضي نوع حركة استطلاعية للوقوف على خبر هذه الملامح اللوامع المغرية ، لعلّه يجد فيها ما ينفعه ويضيفه إلى رصيده ومخزونه ووسائله ، مثل قانص يرقص قلبه طرباً لرؤية قرون المها تلمع خلف التلال ، فيتناول قوسه وسهاماً براها ، فيشبع وعياله لحماً لذيذاً .

ولسنا نحتاج جهوداً وفذلكات لنكتشف أن الدعوة الإسلامية الحديثة وامتداداتها المعاصرة قد غلب على أدائها واهتمامها الجانب الفكري والتربوي والسياسي ، فقد تولت مهمة شرح محاسن الإيمان وكمال الشريعة . وإرساء العبادة والعناية بالأخلاق ، وأمرت بمعروف ، ونهت عن منكر سياسي ، وأحيت سمت الجهاد واعتنت بقضايا الأمة ، ولكنها أبطأت في تقديم مشروعها الحضاري المدني ، أو تصورها التطبيقي للحكم الإسلامي بنظرة نسبية في كل قطر بما يراعي الأولويات والفروق ، واقتربت من ذلك بدوافع عملية أحياناً تقتضيها الممارسات الانتخابية والأداء البرلماني ، ولكن ذلك يأتي ناقصاً ، لأنه ردودَ فعلٍ ، أو على سبيل إحاطة المقابل علماً بوجود مثل هذا الاستعداد ، في حين يلزم أن تدخل هذه القناعات والأفكار الحضارية في صُلب الفكر الدعوي، وفي عداد الأهداف ، وتعترف بها الخطط الإستراتيجية ، وتجعلها موضوع تربية للدعاة قبل أن تكون مادة إعلامية ودعاية موسمية .

● واعترتني قبل سنوات انتفاضة حَركتها مثل هذه الأحاسيس والتدقيقات النقدية التي تراكمت من خلال مجالس الحوار الدعوي ، فدفعتني إلى الإيمان القوي بقُدرة " الصناعة " على أن تكون عاملاً تطويرياً للوجود الدعوي ، وعزوتُ

لها مُكنة تربوية مؤكدة ذات إيجابيات جهادية وتنظيمية وأخلاقية تنعكس مباشرة على شخصيات الدعاة الممارسين لها ، من بين رجل أعمال ومهندس وفني وعامل ومقترب منها بسبب ، كجماعة التسويق أو الإمداد بالخامات والتعدين ، وتقبّلتْ عناصر دعوية كثيرة مثل ذاك النظر الجريء بقبول حسن ، واستوعبته وأبدت تأييداً وإقراراً ، مع شك في أوساط أخرى ، وكانت الخلفيات التجريبية هي التي تحمل على قبول هذه الأنماط من الفكر التطويري ، أو الوسوسة والتراخي في الترحيب بها ، إلا أني ازددت مع الأيام إيماناً بما طرحتُ ، ورأيت فيه جوانب إبداعية لو كان المربون والقادة يعلمون .

● ومع كثرة التأمل والتفكير الإضافي في هذا الجانب لسنوات ، ونداء الحاجات الواقعية ، وتبادل الرأي مع الأقران والتلامذة : **توسعت نظرتي الصناعية لتكون نظرة تنموية شاملة تكون الصناعة مجرد جزء منها ، وأصبحتُ اليوم على يقين من أن المهمة الدعوية يجب أن تتطور إلى تكليف الدعوة بوضع دراسة تنموية في كل قطر عن ذلك القطر ، وتضمين ذلك في خُطة مكملة للخطة العامة الدعوية ، وأن يتولى ذلك فريق من الدعاة الخبراء يستعين بكل الخبرات الحكومية والفردية ، ويستعين بخبراء من أقطار أخرى ، حتى إذا استوت الخطة التنموية التي تقترحها الدعوة للبلد : تولتها بالشرح والتوضيح وتأليف كتاب يُبشّر بها ، ويكون الترويج لها في الأوساط الدعوية أولاً** ، بتضمينها المنهج التربوي لعامة الدعاة ، ثم تدريس ذلك بشكل أكثر تخصصاً في الدورات التدريبية والمدارس القيادية ، وتكليف الإعلام الدعوي أن يُروّج لها ، **حتى إذا صارت ثقافة دعوية مستحكمة واضحة عميقة لها ممثلوها وأئمتها : تتولى فِرَق دعوية إنزالها إلى الجامعات وجمعيات المجتمع المدني والمنتديات ورواد المساجد ، وعقد مؤتمرات صغيرة لها ، حتى تكون ثقافة شعبية ومطالبات جماهيرية ، وعلى أساسها تقوم حملاتنا الانتخابية في البرلمان والنقابات المهنية ، وتكون لنا هوية مميزة عَبْرها** ، ونترجمها ونقدمها إلى الأوساط السياسية العالمية وإلى أحزاب دول

الجوار ، ليعرفوا ما عليه الدعاة في كل قطر من نظر متقدم وآفاق في التفكير المدني الحضاري وصلاحهم لقيادة أقطارهم سياسياً واقتصادياً وتنموياً ، مع الإخلاص وانتفاء الفساد الإداري المهلك للخطط الحكومية ، **فيحصل من كل ذلك "مذهب جديد في العمل الإسلامي" بدايته الإيمان والمحاريب ، ونهايته الآلات والمختبرات ، مروراً بالدراسات العلمية ودلائل الإحصاء والتخطيط وفق معطيات منهجية دقيقة ، ومن خلال ذلك تنشأ في كل قطر "قيادات تنموية شعبية" لها مكانة تعادل مكانة القيادات الشرعية والفكرية والسياسية في قلوب الناس ، وتضيف رصيد تأييد دعوي ، وتخلد صورها في ذاكرة المثقفين** ، وتطمئن لكفايتها عناصر المحاورة والمفاوضة في الحكومة والأحزاب الأخرى والمؤسسات التنموية والدول الأخرى غربيها وشرقيها ، كلما شاركت هذه القيادات التنموية في وفد تفاوض أو ألقت محاضرة أو بحثت مشروعاً استراتيجياً ، وبلغنا في القديم **أن الأستاذ الدكتور مهندس الري حسين كمال الدين رحمه الله** ، عضو مكتب الإرشاد للإخوان المسلمين بمصر : كان سجيناً على خلفية المحنة التي أوقعها عبد الناصر بالإخوان ، فلما حصل الشروع في بناء السد العالي **نقلوا سجنه إلى موضع إنشاء السد من أجل الاستفادة من خبرته** .

● وقصة سجن هذا المتجرد البطل تأتي كمناسبة قدرية في سياق الكلام تشير **إلى أن مجموعة التنمويين الدعاة تلزمهم هِمة عالية ممزوجة بتجرد خالص وهضم لحقوق النفس واعتقاد بأفضلية الفقر ، تماماً مثل رجال الزهد الأوائل وأحوال المتصوفة القدماء الذين كانوا ينقطعون عن الدنيا ويلزمون رباطهم ويعافون التجارات ، ويعيشون على كِسَر الخبز وحبّات التمر والزبيب ، فتلك البدعة الصوفية تتحول في أوساط البحث التنموي إلى "سُنة مؤكدة"** ، والسبب يتلخص في أن هذا المؤمن التنموي نريد منه أن يحرص على التركيز على البحث ودراسة المعطيات الموجودة في قطره ، والقياس على مشاريع في بلاد أخرى ، ومتابعة التطور العلمي السريع الحدوث، واقتباس النمط الإداري اللازم لإنجاح المشاريع،

وتغذية إبداع المهندسين والعمال ، وتحقيق توازن بين الحاجات وحقـول التنميـة ، مع مراعاة نتائج الإحصاء والتقارير الميدانية، وتجويد أداء المؤتمرين لبحث الخطط، فإنها يجب أن تخـرج عـن نطـاق اللجـان المغلقـة والتقـديرات النظريـة إلى نطـاق البحث الحـر في مـؤتمرات أوسـع تضـم الخـبراء وأصـحاب العلاقـة ، لتحصـيل الإتقان والتأكد من صواب جماعة التخطيط .. **ومثل هذه الواجبات ثقيلة عظيمـة مرهقة يلزمها أداء تجردي من الدعاة التنمويين ، واعتكاف في المؤسسـات البحثيـة يُقارب اعتكاف الـمُتعبّد ، وتوحيد الوجهـة ، وذوبـان الـذات في تيـار المصـلحة** العامة . ومعنى ذلك أن لا يكون تاجراً ولا ممارساً لتنفيذ المشـاريع التنمويـة الـتي يشير بها ، بل ينظر إلى أجر عند الله ، و ما جعل الله لرجلٍ من قلبين في جوفـه ، **وليست هي إلا وصية للقيادات أن لا تزيد فقره ، بل تراعـي الظـروف والطبيعـة** البشرية والحاجات .

□ أسواقٌ ... خلف محراب التنمية

● وسبب آخر أهم يكمن في الحقيقة وراء إيجاب هذا الزهد عنـد هـذا الفريـق التنموي ، خلاصته : **أن الممارسة التنموية الدعوية لا ينبغـي أن تقـف عنـد حـد الوصف والاقـتراح والترشـيح والدراسـات التنمويـة النظريـة في حقـول الطاقـة** والصناعة والزراعة والبنية التحتية وحفظ البيئـة والصـحة ، والتعلـيم والتـدريب والتنمية البشرية . **بل يليـق للـدعوة أن تكـون شـريكاً مكافئـاً في تنفيـذ الأمـاني التنموية ، وأن تدخل على الخط الاستثماري ما استطاعت** إذا توفر جانب الأمـن وكانت للقانون سلطة . واتفاقية التجارة العالمية تكفـل هـذه الحقـوق وإن كانـت فيها أسواء احتكارية لصالح الدول الكبرى ، **وهذا الطريق التنفيذي الاسـتثماري الدعوي يلزمه جناح تنموي آخـر مختلـف جـداً عـن الجنـاح التنمـوي البحثـي** ، ويكون فيه تـداول أمـوال ، وتـحقّق فـرص ، وأربـاح ، وغنـى ، وجـاه ، ونمـو شخصـات ، وركوب سيارات فخمة ، والانطلاق من مكاتب لها رونق ، والمحـيط

زاخر من حولهم بأهل الدنيا والترف والأسماء اللامعة ، وينتج من كل ذلك إغراء وترغيب ونداء داخلي وإحساس بنشوة ، وربما اختلط كل ذلك بكبرياء عند البعض في ساعة غفلة ، فينتفش أحدهم مثل الطاووس ، ويركبه رياء وتطاول . ورجل التنمية النظري البحثي في الجانب الآخر محروم من كل هذه الأبهة والأرباح والميزات ، ويرى بعينه ولا تنال يده ، وقد كان هو السبب في غنى غيره ، فإن لم يكن راسخاً في الزهد رسوخ الثوري والفضيل والجنيد فإنه سوف لا يصبر ، ويعتريه نوعُ وَهَن ، ورغبة تملّص ، وقد يخرج إلى شيء من حسد . وللشيطان مهارة في أن يدخل بين الطرفين ليُباعد بينهما ، ويقطع وشائجهما .

وليست هذه الخواطر والتوقعات توصية بترك المتجرد الباحث لفقره ، وتعجيزه بأن نطلب منه مواجهة الشيطان منفرداً محروماً مظلوماً . وإنما تكون الأمور بالحسنى ، وعلى أطراف فوقية أن تتدخل لتحصيل بعض ربح الاستثمار لرفد مخصصات الباحثين ، أو اللجوء إلى حلول أخرى ، والعدل أساس الإدارة الناجحة .

● إنما أخطأ الخطأ أن ندمج الفريقين البحثي والتنفيذي تحت إدارة واحدة ، فإن ضغوط التنفيذ ستدب بتدريج لتستأصل النمط البحثي ، وتحرفه عن غايته التعبدية التجردية ، وتحوله عن قصده الدعوي الفكري التخطيطي العالي إلى هدف واطئ يخدم التنفيذ فحسب ، وبنظرة مادية خالية من العواطف والسمت الملائكي الذي ننطلق منه ، وسيسري في اللاشعور عند الرهط الاستثماري تقدير خاطئ للرمزيات التي نحوم حولها ، ولمكانة الفكر ، وللمعنى الحضاري المعرفي المدني ، ولفلسفة تحريك الحياة ، وأخلاقيات الممارسة ، وتتحول الرحابة النفسية التي تدفع فريق البحث إلى ضيق وعلائق مادية وحسابات جافة ، وتتحور الومضات العقلية المرنة إلى معادلات رقمية صلدة مُظلمة .

● والحل الصواب لدرء التعارض : هو بقاء الاستقلال ، مع إحلال مبدأ " التكامل" و " التعاون " بدل الدمج والتوحيد ، لأن نوع المهمة يختلف ، والتكليف متباين ، والفلسفة التخطيطية التي توجب وجود النوعين من العمل متغايرة وتنطلق من خلفيات غير متشابهة وإن كانت متوازية .

ومذهب التربية عبر صلادة السياق الصناعي ، مما تداولته "منهجية التربية" : سيتحول بموجب هذه الرؤية التخطيطية التنموية الجديدة إلى "جزء" من أداء دعوي تنموي أوسع ، لعلّ التطوير الدعوي يعترف به ويذهب إليه ، تماشياً مع مُعطيات العولمة والأنماط التي فرضتها المخترعات الجديدة على طبيعة الحياة وعلاقات السياسة بالخدمات والاقتصاد ، وارتفاع وعي الناس وهوامش مطالبهم ، مما عكسته المحطات الفضائية الإعلامية والثقافية ، وثورة الاتصالات والهواتف النقالة ، وبرامج الكمبيوتر ، وسرعة المواصلات والنقل ، وانتشار التعليم والتدريب ، والتربية الإبداعية ، والعمل المؤسسي ، وكثرة دخول جمعيات المجتمع المدني على خطوط الحياة كلها ، وتوفر الحريات بصورة أكبر ، والانفجار السكاني ، وعلى التخطيط الدعوي أن يُساير كل هذه المتغيرات ويماشيها ، وأن يتوازى مع طموح الناس وتطلعاتهم واهتماماتهم الجديدة ، وأصبحت الوسائل الفكرية ناقصة ما لم تدعمها ممارسات تنموية ، والوعي السياسي بات قلقاً ما لم يشرحه وعي تنموي ، وسُنن الحياة تنصح القيادات الدعوية بتعجيل التكيف مع التطورات والتفاعل مع الرغبات ، وخير لنا وللناس أن يرعاهم تنموي مسلم يُصافح مؤمناً سياسياً ، فيحفظا لهم ذبذبات الأرواح ووتيرة العواطف مغلفة بالماديات والتنمويات من أن يتولاهم مادي يابس وسياسي علماني يأخذ الشطر أجرة سمسرة .

□ حين يؤذِّنُ إمام التنمية

● **مع ملاحظة أن توجهاتنا السياسية تميل إلى خطط المشاركة في الحكم ، في أقطار عديدة ، بعدما استبان أن مرحلة الإنفراد بالحكم الإسلامي ما تزال بعيدة .** لأسباب كثيرة ليس هذا موطن بحثها ، **وهذه الشراكة السياسية فرصة جيدة لإظهار التميز النوعي للدعوة والدعاة عن بقية الشركاء ، وإنما تتكفل بهذا التميز هذه الخُطط التنموية ، وحكمة زُهاد البحث التنموي الذين تتدفق ومضات العواطف التقدمية التطويرية من جبهاتهم ومحيّاهم الإيماني فتخترق القلوب فتحوز التأييد والولاء** من سامع ومنتفع وعاقل يعرف خبر الصدق وأهله ، والمنافس الذي يحكم لن يستطيع مجاراتنا مهما حَرَص ، لأننا لا ندخل الميدان معه بتنمويين مثل أصحابه ، بل بمؤمنين تنمويين ، وفي هذا الوصف يكمن عنصر التفوق الذي لا يستطيع مضاهاته وتقليده مهما حاول وبذل ، لأن الإيمان صناعة لا تُقلّد ولا تُزوّر ، والفساد الإداري ضارب أطنابه ، فإنْ أراد أن يوهم نفسه ويفتح باب الإيمان لتُنعِش نسماتُه أصحابَه: استيقظت ضمائرهم ، وانحازوا لنا، **لأن الإيمان يُنتج الميزان** ، وبه سيقيس الذي يصحو وينتعش بعد السكرات .

● **وإنما تلقفت أصل هذه الخواطر والرؤى من اندونيسيا ، من يوم وضعها الرجل الصالح الرئيس "حبيبي" يوم كان وزيراً مع سوهارتو** ، فأرسل البعثات العلمية ، وآواهم لما رجعوا بشهادات ، وعقد لهم المؤتمرات ، وأتاح لهم الندوات، **وتحركت عناصر مؤمنة منهم حركتها الواعية ، فسدّدت وقاربت ، وتركت دروساً للمقتفي ، فَيا لَهُ من إمام مبدع ، ويا لهم من أوفياء على الدرب .** وما يزال هذا الإنجاز التنموي البديع حيّ البذرة ، مع أنه تعرض لكيد من خلال النكسة الاقتصادية الآسيوية العامة التي أدارها اليهودي الأميركي سورس ووزيرة الخارجية الأميركية اليهودية "أولبرايت" ، ومن خلال خلع **سوهارتو ، الذي كانت له أشواق تنموية ، لكنه كان ضحية طبيعته الاستبدادية الناتجة من**

هويته العسكرية ، فلم يفطن لحاجة التنمية إلى الحرية ، وانصت للجنرالات الذين ساندوه ، فتوهم ، وتوهم التنمويون بالمقابل ورَنَوا إلى الحرية ، لأن للتنمية من الآثار التربوية المؤكدة في ترسيخ معنى الحرية ما لَها ، وهي ليست أقل من آثار الصناعة في إحياء نزعة الجهاد : فمالوا إلى المشاركة في خلعه . وأتت حكومات ضعيفة ثم خيانية . وتعانق الوهمان ، فتلكأت التنمية .

▫ آليات جديدة للشورى

● **بيد أن عمران الديدن التنموي في المحيط الدعوي متعلق من وجه آخر برؤية تخطيطية أخرى في طبيعة الآفاق والآليات الشوروية داخل الصف الدعوي ، وهي رؤية جديدة أملتها التجارب وممارسة التطوير القيادي والتدريب الإداري،** مما أتاحه الله لنا ، وله الحمد ، حتى اتضح لنا وجود تلازم بين الرؤيتين .

ومجمل ذلك : ظهور ضعف في الرأي الشوروي وصناعة القرار ، بسبب تحكيم العامل الجغرافي البحت في اختيار رجال الشورى ، لا العامل الموضوعي ، وظاهر مقصد العدل يؤيد هذا الترجيح الجغرافي ، وما يردفه من تحكيم التوزيع الاجتماعي ، لكنه تطييب خواطر في الحقيقة ينافي إتقان الاختيار ، وينطلق من حرص على إرضاء جميع المدن والأقضية حسب التوزيع الإداري ، بأن يمثلها أحد في مجلس الشورى وإن كان الله قد كتب على بعض هذه المناطق ألا يكون فيها مبدع يحوز شروط عضوية المجلس على وجه الحقيقة لا التجوّز . وفي كثير من المناطق لا يشيع وعي الاختيار ، فيتقدم صاحب الشهادة الأعلى أو الأقدم في الانتساب على الأصلح الأعلم ، ومع ذلك لا تستطيع الأنظمة الداخلية للأقطار الفكاك من هذه الطريقة الناقصة ، إذ تشمخ أنوف . وتحصل اتهامات بمحاباة لو كان اللجوء إلى سياق آخر .

● **وتمر الأجيال ، والمراحل ، والسنوات الطويلة : وهذه الأخطاء تفرض نفسها والقيادات لا تفكر باستدراك وعلاج مناسب يبتكر طريقة للاستفادة ممن**

يهملهم الانتخاب ويمنعهم أن يفوزوا إذ هـم الأكفأ والأوعى والأكثر تجرداً ، وبعد تراكم التجارب ودخولي في الشيخوخة أصبحت على قناعة تامة بصواب رؤية تخطيطية استطاعت أن تسيطر عليّ ، توجب تأسيس عدد من المجالس الشورية الأخرى في كل قطر في الشأن التخصصي تستوعب وتضم الصالحين المهمَلين ، ومعهم خبراء في الفن أقل شأناً ربما في المستوى الإيماني ومستوى البذل والطاعة ، ولكن عنصر النصيحة لله وللمسلمين يتوفر عندهم بشكل جيد أو متوسط على الأقل ، ومن أجل ذلك لا نخولهم حق صناعة القرار ونقض قرار مجلس الشورى المركزي أو قرارات القيادة ، ولكن نطلب منهم إثراء الرؤى ، وتوسيع آفاق الصنف القيادي الدعوي ، وتكثير الخيارات ، وشرح ما لا يفطن له مجلس الشورى المركزي ، ويكون معهم في كل مجلس تخصصي أعضاء في مجلس الشورى المركزي هم على مثل تخصصهم ويجمعهم بهم جامع مشترك ، وبهذه الطريقة سيزيد الإتقان ، ويحصل شيء من الاستدراك على النقص، ونواكب العلم ، مع بقاء تطييب الخواطر كما هو .

□ المجلس الأول المقترح : مجلس التخطيط ، من ثلاثين مثلاً ، فيهم مُنتسب جديد ، ومن أصحاب الولاء العام ، ربما ، وفيهم الأحسن ، والقوي ، وتجمعهم صفة مشتركة : أنهم أصحاب شهادة في التخطيط عالية ، أو الإدارة ، أو التدريب الإبداعي ، أو ما قارب ذلك ، ونجمعهم وندعهم يتحاورون ويقترحون ويتمنون الأماني ويحلمون ، ولا باس بكل ذلك طالما أن طبائع الحوار ستجعل مسحة من الواقعية تتوفر في النهاية في كل شيء يقترحونه ، ثم إن قولهم يكون مجرّد توصية وما هو بقرار . فضلاً عن وجود عناصر قيادية بينهم ومن مجلس الشورى المركزي يتكلمون بما يمنع الإغراب والتمني العريض ، ومع تكرر الجلسات يكون النضوج ، وبذلك نكون قد وظّفنا الطاقات المعطلة ، واستفدنا رؤى تثري خيارات لجنة التخطيط ، ومنعنا وسوسة العاطلين وقيل وقال ، بل سيكون هذا المجلس التخصصي بيئة مثالية لتطوير مستويات أعضائه وتعميق ولائهم

وإنضاجهم وتقريبهم من رؤى القيادة ولجنة التخطيط ومعرفة مسوغاتها والأسرار الكامنة وراءها ، وبذلك يكون المجلس مصنعاً إنتاجياً لعناصر قيادية . ولو لبثوا في التسيب والانفراد لكان منهم إبطاءٌ ونزعٌ ضعيف .

□ **والمجلس الثاني : مجلس التنمية الشمولية** ، وهو أشبه بمؤتمر واسع يكرر اجتماعاته الموسمية بنفس رجاله وأعضائه ، وقد يزيد عدد الأعضاء على المائة في جميع التخصصات التنموية ، وأكثرهم يكون من أساتذة الجامعة وكبار الموظفين ورؤساء المهندسين ، مع رجال أعمال ، وفيهم الداعية ونصف الداعية والمخلص المحب الموالي ، **ووظيفتهم : تمكين لجنة التنمية من رؤية أوسع ، واكتشاف الأسرار والأرقام والعلاقات ، واستشراف المستقبل عبر الإطلاع على البحوث والهمس في الأروقة ، ثم تنقيح المشاريع ، والخروج إلى تنفيذ جريء ، والسبق إلى فرص ، وإسناد الاقتصاد الإسلامي ، في عشرات الفوائد المنظورة والخفية** ، وتدريب الأرهاط الدعوية على الأداء المؤسسي والمصرفي والتعامل مع المعطيات العالمية في ذلك، وانفتاح المجلس على المجالس المثيلة في الأقطار الأخرى، والدخول في مشاريع مشتركة **وتبادل الخبرات والفرص وتقاسم الأدوار في إنجاح المشاريع الإستراتيجية الكبرى**، ومظاهرة التنموي الفرد أمام الحكومة والشركات، أن يكونوا في ظهره مساندين وكافلين ربما ، ويتركوا هيبتهم الجماعية تنساب لتعضيد حركاته ، وكأي ظاهرة في الحياة : تبدأ هذه التأثيرات صغيرة ، وتنتهي كبيرة ، والأناني الذي يريد أن يحرف هذه النوايا التنموية إلى منفعة ذاتية شخصية لا يضر هذه الخطة ، لأن الجماعة أقوى من الفرد دائماً .

□ **والمجلس الثالث : مجلس شورى النساء ، فإن التطور المدني والعمل المؤسسي وأنماط نشاط جمعيات المجتمع المدني : جَعَلَ العمل النسوي أوسع جداً من ذي قبل ، بينما لا تزال نظرة الوصاية على الأخوات هي الغالبة ، وليس ذلك بملائم لمعطيات الساحة** ، ولست أقول بالتحرر والاستقلال ، ولكن أقول بتحفيز الأخوات للنزول إلى جميع الميادين ، وتدريبهن وتطوير مستوياتهن

بالدورات وعن طريق الممارسة العملية لأنواع الإدارة ، ومن ذلك : **تجميع أحسن وأذكى وأتقى ثلاثين امرأة متميزة لجيبة عاقلة ، في مجلس شورى خاص يعتني برفع شأن العمل النسوي وتطوير المرأة المسلمة** ، ويتوسع العدد بعد مدة إلى خمسين ، ثم إلى سبعين ، ثم إلى مائة ، بحسب سعة القطر ومدى الحرية. **وندعهن يتصرفن باستقلال يهذبه التنسيق ، وان يتحملن المسؤولية ، ويتدربن على التوكل ، وننهي عهد التواكل ، ونعينهن بالرأي والمال وكل أنواع التسهيلات ، ولكن نتيح لهن الاجتهاد بدل التقليد ، والمبادأة بدل التبعية ، ونعهد إليهن بمهمة جبارة تتمثل في تنفيذ نصف حملتنا الإعلامية ، ونصف جهودنا البحثية ، ونصف وسائلنا الإحصائية وحاجاتنا المعلوماتية ، ونصف الإغاثة، ونصف التعليم الإسلامي ، ونصف المعالجة الطبية ، في أنصاف أخرى على سُنّة الإنصاف ، حتى تتكون شخصية عامة اعتبارية قوية للعمل الإسلامي النسوي، ويصرن نصف المجتمع حقاً** ، والبداية والمنطلق في ذلك : إنشاء مجلس الشورى النسوي المساند للقيادة النسوية .

□ وكدت أقترح مجلساً سياسياً متخصصاً لولا أني أخاف من السياسيين أن يُكثروا التطلع للمناصب ، فإن في بعضهم مثل ذلك ، وبعضهم يضع خطط التسلق على الأكتاف قبل أن يضع خطط الأمر بالمعروف السياسي ، والمنطق يقتضي أن لا نهاب أحداً ، ولكن المسألة أدق وأكثر حساسية من شأن المجالس الأخرى ، فاتركها إلى تقديرات نسبية في كل قطر ، وما أنا لها بمستطيع .

ولقطرٍ من الأقطار أن يفكر بمجلس تخصصي آخر، تربوي أو إغاثي، أو ثوري في حالات الجهاد والحروب ، مثلاً ، وفي الأمر سعة ، ولكن الإسراف يؤدي إلى تعقيد إداري وتجميد لطاقات تنفيذية ربما بحجة التوسع في التنظير وتكثيف الرؤى ، وهذه القضايا يحكمها نظر نسبي، وترجحها أذواق ومعرفة ميدانية ، والصواب فيها يتعدد ، إنما المهم أن نتذكر أن التخطيط الدعوي في العالم أجمع عليه أن يطور آلياته الشوروية ويجددها بما يناسب تطور الحياة .

● هذه الإضافة التربوية التنموية ، والتنويع في آليات الشورى . تكملها إضافة ثالثة لم توص بها رؤية تخطيطية جديدة ، بل تحثنا عليها أعراف عالمية عتيدة ، ولكن الأوساط الدعوية تتغافل عنها ، وكان هذا التغافل مستساغاً في مراحل الابتداء . ولكنه لا يجوز في وقت المنافسة أو الاقتراب منها . وهو العرف الذي يتجلى في تكوين المعارضة لحكومة ظل تسمى فيها شخصيات الوزراء ، فيما لو أسند الحكم إلى حزبها ، وفي الغرب يهملون تسمية طبقة الوكلاء والمدراء ، لوفرة وجودها ، ولأن الفكر لا يؤثر إلا قليلاً في طبيعة الخلافات السياسية ، ولذلك ينظرون إلى التنفيذ وطبقة الأعوان نظرة مهنية صرفة ، بينما يمتزج الأداء المهني عندنا بالفكر السياسي ، ونزيد عليه نحن إذ نمزجه بالتوجه الشرعي ومراعاة الحلال والحرام ، وبالتوجه الإيماني الأخلاقي التربوي ، فنريد المصلي الذي تخرجه المساجد قبل أن تخرجه الجامعات ، وهذا يوجب على التخطيط الدعوي أن يسمي ثلاثين وزيراً من المؤمنين ، لكل وزارة مَن يناسبها ، ويبدأ يفكر كأنه وزير ، وينمي خبرته ، ويتابع أداء الوزارة ، ويكون مستعداً لتطبيق مشروع إصلاحي لوزارته فور استلامه لها ، بل يجعل الناس على علم به من خلال ظهوره المتكرر في التلفزيون والصحف ومواقع الانترنيت ، ومع كل وزير ثلاثة وكلاء وزارة أيضاً ، يتفاهم معهم ويظهرون كظهوره ، مع عشرة مدراء يعرفون واجبهم الجزئي التفصيلي وطبيعة الميدان ، ويمكن أن نضيف ترشيح مدير لكل مؤسسة عامة ، وبعضهم بدرجة وزير ، وبعض السفراء الذين تسمى البلدان التي يرحلون لها ، مثل سفير في واشنطن ، وآخر في لندن ، وفي العواصم المهمة ، ليعرفوا أجواءها السياسية تماماً وعلى مدى سنوات ولا يكون منهم خطأ في التقدير والتعامل ، وتنتج من امتدادات هذا الظل ومجموعة البرلمان ' كُتلة دعوية ' قوامها يقرب من ألف داعية يخضعون لمشروع تطويري طويل ،

ومتشـعب ، يشـتركون فيـه في بعـض الأساسـيات ، ثـم يتمـايزون حسـب التخصصات ، وتمدهم المجاميع التنموية والفكرية والتدريبية بالمعلومـات والرصـد المتكرر ، حتى تتم عملية تأهيلهم ، والتي تسندها في الابتداء مُكنة ذاتيـة وقابليـة إبداعية وسواءٌ نفسي وحرارة معنوية، فيكون الاستواء على الكراسي على قُدرة، ويزداد وجه الدعوة بياضاً ، وإجادة عملية اختيارهم من جيـل الشـباب الصـاعد المتجرد تتكفل بنصف النجاح إن شاء الله ، وأما اللبث مع الوسوسة واختيـارهم من أصدقاء الدعوة الكبار بحجة تأييد الناس لهم فهو أمر يحمـل معـه أنواعـاً مـن الاحتمالات السلبية ، لقلة تجرد هؤلاء ومزاحمة قدمهم الأخروي بقـدم دنيـوي ، والناس إذا رأوا شاباً متقناً لفنه فإنهم يؤيدوه ، وعزمة التوكل واجبة ❑❑❑

هذه الرؤى المحركة للحياة

حُسنُ التخطيط : يستثمر المعطيات والطاقات على وجه جيد متناسق، ويوفر الظرف المساعد ويقتصد في الكُلفة.

ومن ثمّ كان كل عمل فكري وقدح للرأي : يصبُّ في التخطيط ويضيف له سبب قوة وإتقان.

ولهذا يُستعمل له في اللغة لفظ "السَّمتُ" وفعله الذي هو من الهدي الحسن.

(قال الفرّاء : يقال : سَمَت لهم يَسمِتُ سَمتًا : إذا هيأ لهم وجه العمل ووجه الكلام والرأي).

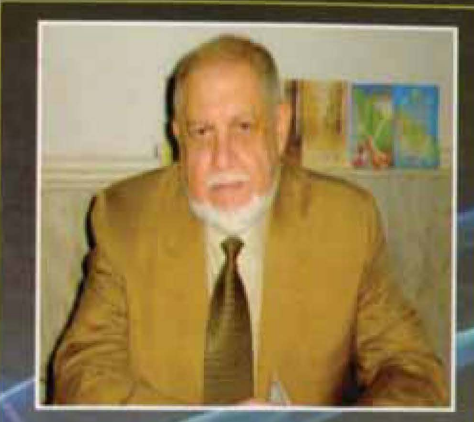
أي كأنّه يُخطط لهم ... والسمْتُ : الطريق.

(والسمْتُ : السير على الطريق بالظن .. وقيل : هو السير بالحدْس والظن على غير طريق) لسان العرب 2 /197.

وهذه صفات التخطيط، فإنه يقوم على ظنٍ وفراسةٍ وافتراض، ويسلك طُرقاً جديدة يلزم لاكتشافها إبداع وذكاء تقبلُ الصوابَ والخطأ، ولو كانت طُرُق السياسة والحرب والمنافسة معلومة ثابتة يدخلها كل من يشاء ضامنًا لنفسه المخرج : لكان صراع الحياة سهلا و ينتصر فيه حتى البليد المقلّد ولكنها طرق تتبدّل وتتغير معادلاتها، ويلزم من يريدها اجتهاد واستقراء للساحة ومعرفة بالنفس وإحاطة بالعلوم والتاريخ، فيأتي المخطط يَسمتُ لأصحابه وجوه العمل والتحرك والتقدم مستمدا من إيحاء الشكل الهندسي أيضا، فإن التكوير ليس فذلكة في الشكل فقط، ولكنه جمع إبداعي للكتلة ومنحها انسيابية في التحرك، وهي براعة في جعل جميع النقاط على بُعد واحد من المركز، وفي المكعّب نجاح في تقابل الوجوه وتناظرها وتحديد الزوايا ووضوح الانعطاف، ثم لكل شكل إيحاء ومعنى، ولكل هلال، ولكل عمود يوازي غيره، وانطباعات التخطيط من كل تلك الذبذبات الهندسية ووجوه الاجتهادات الرياضية تعمل عملها في المساعدة على تحديد المراد وتحريك الحياة .

وهذا الكتاب يرميك في الخضم

ويطلب منك المحاولة والتحالف مع التحدي.



- ولد المؤلف ببغداد في 1938/7/8.
- تخرج بكلية الحقوق بجامعة بغداد عام 1962م.
- عمل محاميا ثم صحفيا، وتفرّغ للكتابة والعمل الدعوي.
- متخصص في حقل "فقه الدعوة الإسلامية" ويدعو إلى الشمول المعرفي والممارسة الحضارية عبر التربية الإبداعية والتخطيط والنشاط المنهجي
- صدرت له بالعربية كتب منها : (المنطلق، العوائق، الرقائق، تهذيب مدارج السالكين، دفاع عن أبي هريرة، المسار، منهجية التربية الدعوية، أصول الإفتاء والاجتهاد التطبيقي في نظريات فقه الدعوة الإسلامية، صناعة الحياة، رسائل العين، رسائل مواعظ داعية، بوارق العراق)
- يعكف الآن على تدوين "موسوعة معالم التطور الدعوي وتاريخ الجهاد" في خمسة أجزاء، و"مواعظ داعية". ولكن ستصدر قبلها، وقريبا جدا، رسائل كثيرة ضمن سلسلة "حركة الحياة" وتتولى مهمة الكشف عن كيفية ولادة الحركات الحيوية وجذورها النفسية والعلمية وتأثيراتها التعبيرية، مع بيان هندسة السيطرة عليها.

دار المحراب

بالتعاون مع دار الخلدونية